العدد الثالث من السنة السادسة — ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — مارس سنة ١٩٤٥

مجلة
الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشريف
تليفون ٨٥٣١٢

المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٩٤٥

فى هذا العدد

صفحة

" الملك " ... ... للشاعر محمود حسن إسماعيل ٣

حديث إلى الشباب ... ... محمد العشماوى بك ٧

آمالنا محدودة ... ... مريت بطرس غالى بك ١٢

وظائف الأسرة ... ... الدكتور على عبد الواحد وافى ١٦

الأسس العامية لبناء الخلق الإجتماعى ... الدكتور ابراهيم سلامة ٢٠

ذكرى الهجرة... ... ... فضيلة الشيخ مأمون الشناوى ٢٤

أصول الإصلاح الإجتماعى ... ... فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين ٢٩

مشكلات الأسرة ... ... للدكتور محمد غلاب... ... ... ٣٢

البريد ومسايرته للحالة الإجتماعية ... ... الأستاذ حسن الحطيم ٣٧

سلطان الخرافة ... ... الأستاذ محمد شوقى أمين ٤٢

جامعة القرية... ... ... للدكتور سيد فهمى كريم ٤٦

المخترعات الحديثة فى خدمة المجتمع... ... للدكتور أحمد زكى بك ٥١

كاتب الحياة العظيم ... ... الكاتبة زينب محمد حسين... ... ... ٦٥

فى قرية " أبى النمرس " ... ... الأديب محمد عبد الكريم ٧٠

أمم صغيرة وأمم كبيرة... ... ... ٧٧

أراء وأفكار ٧٨

من إدارة المجلة ٨٠

"المـــــلك"

للشاعر محمود حسن اسماعيل

في مهرجان الوطن بذكرى نجاة "الفاروق" من حادث القصاصين (*)

حَلا الغِنـاءُ ، فهاتوا خمرَه ، هاتوا ... إنا نشاوَى ، وهذا الشعر كاساتُ

لا تعـذلونا إذا لاحت جوانحنـا ... كأنهـا لأغانى الحب حانات

كنا نحـوم بليـــلٍ ليس فى يدِهِ ... لِحائرِ الطـيرِ أعشاش وأيكات

فـــلا الغِناءُ غِناء فى حناجِرنا ... ولا بأوتـارِنا تهـــتز آهـات

كنا تماثيل تغريدٍ أحاط بِنـا ... نحات صمتٍ له بالشـــدو ثارات

نأسى ، وتأسى الأغانى فى مزاهِرِنا ... وللغِنـاء كما لِلنـاس ويلات !

* * *

مَنْ ذلك الفـارس البيضاءُ جبهته ... كأن أنوارَها للنصر آيـات ؟

أوما إلى أدمع الأيام فاهتلكت ... وفُتّلتْ فى مآقيهـا الشـــكايات

ومرَّ بالليل . . . والظلماء عاكِرة ... ففُجِّرت منـــه أضواءٌ وهالات

وجاس فى الكوخ أرضا غرس تربتِها ... جوع، وشكوى، وأسقام، وعِلات

يمشّى العـــراة بهـا فانين تبصرهم ... وفيهمُ من بنى الدنيـا علامات ؟

مهلهلين على أبدانهـــم مِزَقٌ ... كأنهـا لِصراخ البـــؤس رايات

(*) ألقيت فى الاحتفال الذى أقيم بدار الأوبرا الملكية مساء يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٤ وأذاعته محطة الإذاعة الملكية .

خفُّوا إليـــه جِراحا غاب عائدها ... وطِبُّها ، وتجافتْها الرعايات

ورفرفوا كطيورٍ جاءها خـــبر ... أن الربيع له فى الروض خطْوات

طـاروا له رغم بلواهم وحرقَتِهـــم ... كما تطير إلى الحـــقّ الظُّلامات

كانوا "بأسوان" نِسيانا تقلبه ... فتـاكةٌ بين جنبيـــه المجـاعات

خاض المنـايا لِيُحيي شعبه بطـل ... لولاه راح الردى بالنـاس يقْنات

من ذلك القـــدر السارى تظلله ... أنَّى مشى مِن يدِ الله العِنـايات؟

مفـاجِئٌ تكـــتم البشرى سريرته ... كآيةِ الســـحرِ تُعليهـا الفُجاءات

"فاروق" بِكر الحيارى ، أينما نزلتْ ... خطاه، فالأرض أعراس وجنات!

"فاروق" والنيل يهواه، فلو نطقت ... أمواجه هتفت منهـا الصبابات!

"فاروق" والطير تهواه ، فلو سئلت ... ترنَّمت بأغانيهـا الجميـــلات!

"فاروق" والشرق يهواه، فكل فمٍ ... يدعو ، وكل يدٍ منهـا ضراعات!

"فاروق" قِبلة "مِصرٍ"، أينما خطرت ... أحلامه ، خلفها تجرى السياسات

اذا دجَتْ فى طريقِ الدهرِ نظرتها ... راحت تُضيءُ بِكفَّيهِ المنارات!

وإن تشعَّب فيها الرأى واختلفت ... ذابت على يدِهِ منهـا الخِلافات!

وإن بغَى ظالِم فيها ، فصولجه ... فى البأْس تعرف ماضيه البريَّات

* * *

مولاى واليومَ ذِكرى لحظةٍ شهِدت ... بمـا لِحبك تطويهِ الحُشاشات !

هفتْ إليك قلوب الشعبِ واندفعت ... إلى ركابِك أرواح ومهجات

وجاءكَ النيل يسعَى بينهم دنِفا ... يغلى بأشواقِهِ موجٌ وضفّات

والدوح كادت لِفرطِ الوجدِ أغصنه ... تُمد منهـا إلى الرحمن راحات

والناس أمواج بحر تحت عاصفةٍ ... رياحها من جنون الأفق مُزجاة

طاروا لنورِك دعّاءين تسمعهم ... وتستجيب لهم فِيك السموات

وأنتَ فى جِيرةِ الصحراء تنفحها ... نورا ، تضيء بِمسراه المفازات

خيَّمت فى شطها فجرا تضاء بِه ... لِلسالِكين على البيد المتاهات

غنى بطلعتك الحـادى ، تجـاوبه ... صبائِحٌ جاوبتهنَّ العشيّات

ورددتكَ مزاميرا قوافلهـا ... كأنمـا انت "موسى" وهى توراة!!

وموكِب الريِح ، ماذا فى أنامِلِه ... معطّراتٌ ، شجيّات ، مضيئات

زارتكَ طوّافة ، فانظر ضراعتها ... واسمع. فِمن فمِها تجرى التّمِيمات

راحت تنُض على الصحراء ما حملتْ ... فكاد ينسخها رِىٌّ وإنبات

هذا جلالك يا "فاروق"! كل ثرى ... تمشى عليه ، مشت فِيه القداسات

نُبوةٌ بمعـانى الخير ، راح بهـا ... وادِيك تفعم شطيْه المروءات !

فى كل بابٍ من الاصلاحِ تَطرقه ... يا ما شجتنا ، وهزتنا الروايات !

رأى جديد ، وتَجـديدٌ ، وَمَوْهِبَةٌ ... بِنورِها سطعتْ منكَ الهدايات .

ماذا فعلتَ بوادى النيلِ؟ كان كرًى وكنتَ بعثا . . وللأيامِ حالات
نفحته عزمةٌ ، بأس الحديد لها مسكين قلبٍ له جُرحٌ وأنات

ورحتَ توقظ روحَ الشرقِ فى زمنٍ صحوُ الشعوبِ لأهليه ديانات
على يديك التقَت آماله ، ولها من أنجم الليل أحباب وجارات!
مولاى ! ما مرَّ ليل أو دجا أفق إلا وتاجك للأوطان مشكاة
ذكرى نجاتك عيد خالد ، سطعتْ فيه لحبك فى الدنيا شهادات
(قباب عبدين) صارت كعبة وغدت مَزارَ حب له تحلو المناجاة
الناس فى ساحها كالطيرِ ظامئةً وأنتَ نبع ، وشطآنٌ ظليلات
وقفتُ أهتف لا شعرا ، ولا نغما لكن هوًى غرّدت فيه الخيالات
ومهجةٌ من سنا (الفاروق) قد شربت فرنّحتها من التغريد هزّات
"مَن ذاك الفارس البيضاء جبهته" كأن أنوارها للنصر آيات ! ،
"فاروق" والله للأوطان أرسله فجرا تفيض بكفّيه السعادات !

محمود حسن اسماعيل

٣ — حديث إلى الشباب المثقف

لصاحب السعادة محمد العشماوى بك

المستشار الملكى لوزارة الشؤون الاجتماعية

فليكن حديثى اليوم إلى الشباب ، فالشباب فى كل أمة مناط الأمل وموضع الرجاء ، وما كان للشباب هذه القيمة إلا أنه ربيع الحيوية فى فصول العمر ، وقد يكون الشباب شيخوخة عاجزة ، وكذلك قد تكون الشيخوخة شبابا فتيا ، فليس الشباب شباب السن وإنما هو شباب القلب والروح ، ولا يتحقق إصلاح إلا إذا أمدته الأرواح والقلوب بالقوة والفتوة ، وخير ما أمهد به حديثى إلى الشباب أبيات لشوقى يقول فيها :

قل للشباب مقال صدق واقتصد ... ذرع الشباب يضيق بالنصاح
أنتم بنو اليوم العصيب نشأتموا ... فى عصف أنواء وهوج رياح
ورأيتم الوطن المجمع صخره ... فى النائبات وسيلها المجتاح
وشهدتمو صدع الصفوف وما جنى ... من قول مفتات وإفك وقاح
صوت الشعوب من الزئير مجمعا ... فإذا تفرق كان بعض نباح

وإذا أنا تحدثت عن رسالة الشباب فى الاصلاح الاجتماعى فلست أقصد ذلك المحيط الضيق الذى يتبادر الى الأذهان حين يحضرها ما يتطلب المجتمع من إصلاح ، فكثيرا ما يسبق إلى وهمنا أن الإصلاح يتم برعاية تتناول الفقير واليائس والمحروم ، ولكنى أقصد الأفق الفسيح الذى يلائم طموح الشباب ويتناول إعداده للحاضر وأمله فى المستقبل وجهاده فى سبيل الإصلاح الجوهرى العام .

فأما العون على بناء مستشفى أو إنشاء دار كفالة أو الاشتراك فى مبرة فإن ذلك كله أثر للوعى القومى إذا انتبه من غفلته ، بيد أن رسالة الشباب أبعد من ذلك مدى ، فهى تشمل الأوضاع التى يقوم عليها المجتمع فى صميمه ، ولذلك يجب علينا أن نتبين أولا : ما حال المجتمع الذى نعيش فيه ؟ أنى أعمل فى ميدان إصلاحى محدود ، وقفت عليه راحتى وتفكيرى خارج نطاق الوظيفة ، ولكنى استطعت فى هذا الميدان المحدود أن أتمثل النظام الاجتماعى العام ، وأن أستبين علله وأمراضه ، فحين توجه الشباب لخدمة المجتمع يجب علينا أن نصوره له ليعرفه إذا ارتاده مصلحا أو مجندا للاصلاح . وعلينا أن نؤمن بأننا إذا شئنا غزو الباطل فى مجتمعنا المصرى كان لزاما أن نحشد للكفاح كل عدة ، فلم تعد الحروب سلاحا يقاوم سلاحا ، فلنحشد الثقافة على اختلاف فروعها ، نحشد الأدب مجندا والتاريخ مجندا والفلسفة مجندة . ولا بد فى الحروب من الوقوف على نفسية العدو فلندرس طبائع العلل والأمراض

التى تنفشى فى مجتمعنا ونفسية المرضى ، والحروب إنما تنشب لمقاومة لعدو الخارجى وذلك هو الجهاد الأصغر ، وإنما الجهاد الأكبر جهاد النفس ، جهاد العدو الداخلى ، فلا يرجى قيام أمة فسدت داخليتها ، لأن عوامل الفساد فى باطنها تنهك أوصالها عضوا عضوا وتدعها طعمة للفناء

والشباب المصرى حين يعمل فى ميدان الإصلاح الاجتماعى يستقبل بدءا فى المجتمعات . يستقبل مجتمعا توافرت له كل العلل الصحية والاقتصادية والخلقية ، والميدان أمامه فسيح الرحاب ، والأرض فيها مجال للإصلاح أى مجال ، واليأس منه قريب المنال ، والأمل فى النجاح بعيد الاحتمال ، فلا بد من قوة جبارة ، ولا بد من صبر لاينفد له مدد . سيواجه الشباب مجتمعا رانت الأمية على ثمانين فى المائة من رجاله ، وعلى خمس وتسعين فى المائة من نسائه ، والأمة هى الظلمة الحالكة ، وهى انقطاع أتنه موارد العرفان ، وهى الفقر المادى والروحى لأن الغنى وعلو الهمة ووفور الكرامة سببها تسخير المعرفة ، وهى الفقر الصحى ، لأن الصحة لا تستكمل إلا بالتداوى على أساس العلم الحديث . وها نحن أولاء فى القرن العشرين ما برحنا نفكر كيف نبدأ فى مكافحة هذه الأمية الفاشية ، ومن عجب أن يكون هذا فى بلد أغلب أهله يعتنقون الدين الذى يحض على طلب العلم ويجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وقد اقتدى محمد صلوات الله عليه بجماعات الاسرى بتعليم المسلمين ، وجاء القرآن يدعو الى النظر فى شؤون الكون وسنن الحياة ، وعلى الرغم من هذا كله مازلنا نتخبط من الجهالة فى ظلمات بعضها فوق بعض ، ولذلك تذهب الجهود الاصلاحية إدراج الرياح . يكتب الكاتب فلا يجد من يقرأ ، ويعظ الواعظ فلا يلقى من يعى ، فان اعتزت الرءوس حول منابر المساجد اعتزت من باب التقليد والمحاكاة لا من الوعى لما يلقى من عظات وهذا سر ما نشكوه من أن القوانين الاجتماعية التى تفرض الالتزامات لمصلحة المجموع تبقى حبرا على ورق ، لأن الأبى يحسبها نقمة مصبوبة على الأمة ، فيحتال للتخلص من سيطرتها بالرشوة والتزوير والكذب ، وهيهات أن تؤتى جهود المصلحين أكلها ما دامت الجهالة تفث جراثيمها ، وهذا هو الريف الذى يطبق عليه الجهل تندثر فيه معالم الطب لتقوم مقامها معالم الخرافات والأساطير ، على حين أن المرض يبسط سلطانه على أهل الريف ، حتى قال وزير سابق للصحة أن الأمراض المتوطنة وغير المتوطنة تشيع فى القرى بنسبة خمسة أمراض لكل شخص تحتل جسده المنهوك وتزيد حياته بؤسا وشقوة وتعاسة .

وماذا نرى فى مجتمعنا إذا نظرنا اليه من الوجهة الاقتصادية؟ سيرى الشباب حفنة من الأغنياء تتمتعون بالمال الموفور ، ومن ورائهم شعب من الفقراء لا يزيد مورد الواحد منهم فى المتوسط الغالب على خمسين قرشا فى الشهر ، حتى أن الحكومة لما أعفت صغار الملاك من قسط كبير من الضرائب انتفع بهذا الإعفاء بضعة ملايين ، فإذا أردنا أن نحكم على الامة الأمة حكما صحيحا فتكن أمامنا هذه الحقيقة ، أقلية تنعم بالمعرفة العليا ، وترتع فى بحبوحة الثراء العريض ، فإما عماد مصر ، شعبها الذى يرجع اليه وقت الشدة ، فهو فريسة الجهل

والفاقة ، وما الخاصة من الأغنياء — كما قال على بن أبى طالب — ألا فئة حملها ثقيل ، ونفعها قليل .

سيواجه الشباب أيضا ذلك الفقر الروحى ، ولا خير فى أمة تفقد روح الطموح والتعاون وإيثار المصلحة العليا على غيرها ، وفى التاريخ عبر تهتف بنا أن لا غناء فى علم ولا غنى إذا تدلت الأخلاق الى الحضيض وهى دولة الروم والفرس فى سالف أيامهم وعظمتهم لم يثبتوا أمام فئة من العرب تسلحت بالروح القوى ، فما أغناهم علم ولا مال ولا سيادة عن أن يسقطوا صرعى أمام صولة الروح وحمية الإيمان .

لن يجد الشباب فى ميدان الاصلاح الاجتماعى إلا جوا مسموما يعمل خفية وعلانية على قتل روح الشباب ، فإذا أراد شبابنا فوزا فى المعركة فليعد للأمر عدته وليتخذ للضلال وسائل الهجوم والدفاع ، فانهم سيلقون المثبطات فى كل ناحيـة ، وسيلقون الجزاء لا من جنس العمل ، بل على عكس العمل ، وفى هذا ما يبعث اليأس فى النفوس إلا من عصم الله .

ولن يستطيع الشباب أن يؤدى رسالته إلا إذا أعد إعدادا قويا لهذه الأحداث ، وليست المعاهد العلمية تؤدى من هذا الواجب قسطا يذكر ، ففترة التعليم مقصورة على تلقى العلم ، وما يبنيه المعهد يهدم أكثره المنزل ، فالأمية غالبـة ، والأمهات لا يصلهن بالمعرفة أى سبب ، وهؤلاء هن اللواتى يربين الأطفال ويوجهن الشباب ويلهمن الرجال .

وإذا النساء نشأن فى أميـة رضع الرجال جهالة وخمولا

على أن النشء حين يخرج من محيط المعهد الى محيط الحياة يعصف هذا المحيط بما يكون قد بقى فى نفوسهم من خير ، وإذن ينزل بهم الى هوة سحيقة من الضعف النفسى والخلق .

فشباب الاصلاح الاجتماعى يستقبلون حياة تتطلب روحا قوية . ولن تتم لهم هذه الروح إلا إذا أنشأتهم أسر صالحة ترعرع فيها الطفولة ويطمئن إليها الشباب وتركن اليها الرجولة . فلا بد إذن من إعداد المرأة قبل كل شىء . ولا بد من تربيتها تربية دينية صحيحة تتطبع بها نفسيتها وتسمو روحها .

ولن يمنعنا ما نتصوره من بعـد الشقة وثقل الأعباء عن مخاطبة الشباب ، فقـد تبلغ الدعوة فردا يكون به صلاح الأمة ، ولم تقم عظمة الأمم إلا على كواهل أفراد قلائل ، وهذه هى الرسالة المحمدية اضطلع بها فرد واحد اكتملت له عظمة الروح وقوة الإيمان فنشر رسالته فى العالمين نورا وهدى .

والشباب ابن الحـاضر وعدة المستقبل ، والحاضر إلى زوال ، والمستقبل إلى وجود ، فالحاضر عتبة المستقبل ، والشباب هو الذى سيواجهه ، فعليه أن يعمل له ، وأن يسمو إلى مستوى يحمل رسالته قومية إنسانية ، فاذا غضب غضب للحق وللعدل ، غضب على أن تقوم للباطل قيامة . وعلى الشباب أن يجند نفسه للجهاد ، وما ينبغى أن يكون مطية للشهوات وإرضاء الجماعات ، فهو صاحب المستقبل ، الحاضر مول بماله وما عليه ، أما هو فمقبل على غد جديد ، يستطيع أن يصوغه كما يريد .

فلينشر الشباب رسالة الثقافة ، ولا يدع ذلك على عاتق الحكومة وحدها . وفى رأيى أن الزكاة ليست فى المال دون غيره ، وإنما هى فى العلم والقدرة والصحة وكل نعمة من أنعم الله على عباده ، فليؤد الشباب زكاة العلم والصحة والنعمى فى سبيل الوطن . إن ساعات النهار والليل لم تزل كما هى ، ولكن طغى الهوى وحب الشهوات والمتع غير البريئة على الوقت أجمع ، فمضى فى غير منفعة ، وقد آن للشباب أن ينفقوا وقتهم فى نشر رسالة ثقافية تنتظم المدائن والقرى ، وليبدءوا بأسرهم وعشيرتهم وأهليهم ليبنوا مجدهم ومجد البلاد .

وعلى الشباب الغنى أن يجعل للفقير نصيبا من ماله ، وهو بذلك يخدم نفسه ، فكيف يصح فى العقل أن يعيش الشباب سعيدا بين أشقياء ، صحيحا بين مرضى ، متعلما بين جهلة ؟ أيأنس الشباب بهذه الحياة ؟ فليعمل ما يوفر لنفسه عيشة كريمة فى بيئة صالحة لا يرى فيها فقر ولا بؤس ، ولا تسمع فيها آنات وزفرات ، ولا تقع العين على مناظر من الشقوة تؤذى الضمير وتجرح الفؤاد ، وقد جعل الاسلام الزكاة ركنا من اركانه ، وهى فى الحق أساس النظام الذى يجتب الدولة شر الرأسمالية البغيضة والشيوعية المردية ، فليجعل الشباب أساس الاصلاح تنبيه الأغنياء إلى واجبهم حتى تضيق الهوّة التى تفصل بين طبقات الناس ، وتجعل بعضهم أعداء بعض ، فمن مصلحة الأغنياء أن ينزلوا إلى مستوى الشعب ليتألفوه ويردوا عن أنفسهم غيلة هؤلاء الجياع العراة ، فاذا كانت دعوة البر لا تجدى فيطلب الشباب أن يتدخل المشرع بسيف القانون ويفرض البر على القادرين فرضا ، وبذلك يحارب المرتدون عن البر كما حارب أبو بكر المرتدين عن الزكاة .

وعلى الشباب أن يجند نفسه فى سبيل الصحة ، فان كلا من الشتاء والصيف يتلقى الشعب بأمراض فاتكة وأوبئة قاضية تفتك بالألوف ومما يزيد الأمر خطرا أن الجهالة تزين للمرضى أن يردوا عادية المرض الى الجن والشياطين ، ولذلك تذهب النصائح الصحية بددا ، فأمام الشباب مهمة سامية هى التنوير والتبصير .

وعلى الشباب أن يواجه الميدان الاقتصادى لإقامة ميزانه بالقسط ، فان معيشة الفلاح فى ملبسه ومسكنه وما كله كمعيشة الانسان البدائى ، وأنا لا أدعو إلى صدقة يهدر لها ماء الوجه وتضيع الكرامة ، وإنما أدعو إلى أن ينظم البر لكى يكون إنتاجه شريف الكسب أريد نظاما كنظام محمد صلوات الله عليه حين سأل سائل فقال ما معناه أعطوه دراهم ليصعد الى الجبل كى يحتطب فيشترى ويبيع . فيجب أن تكون رسالة الشباب تزويد العاجزين عن الكسب بوسائل أو برءوس أموال صغيرة يستعينون بها على الصناعة أو التجارة ويعيشون عيشة كريمة بعيدة عن عار الخمول ومسبة الاستجداء .

وعلى الشباب أن يبث روح القدوة فى الناس فلا خير فى دعوة لا تؤازرها القدوة الحسنة ، فاذا دعا الشباب الى الاستقامة والأمانة فليكن مثلا عاليا فى الاستقامة والأمانة ، واذا دعا إلى الحرمان فى سبيل الوطن فليكن أول محروم ، ونحن نرى كثيرا من الدعوات لا تجد

لها سميا لأن أصحابها لم يؤمنوا بها ، فلتكن رسالة الشباب أن يكونوا قدوة صالحة عاملة حتى يضمنوا لرسالتهم النجاح .

وإنى أعتقد اعتقادا لا يتطرق اليه الزيغ أن الرسالة الروحية أس النجاح فى كل مهمة وكل سعى ، فليكن الإيمان العميق أول ما يملأ قلب الشباب وأكبر ما تفيض به نفسه ، فان لم يؤمن برسالته أنبت به الطريق وخابت مساعيه ، ولست أقول ذلك من باب الوعظ وإنما أنا واثق أن دعم الروح أساس لابد منه ، وأن التدين خير ما ندعم به الروح فتقوى الله دعامة كل إصلاح وسبيل كل فلاح ، فليتخذ الشباب الوحدانية التى قام الاسلام على أساسها لرسالتهم الكبرى ، وليرد كل شىء الله ، فلا يتملق أحدا لأن هذا شرك ، ولا ينافق أحدا لأن هذا شرك ، ولا ينصر الباطل لأن خذلان الحق شرك . وما هو الشرك ؟ أليس هو أن تشرك بصاحب العظمة المتفرد بالسلطان ؟ فيجب إذن أن تقوم رسالة الشباب للخير فى سبيل الله ، وأن يوطن الشباب نفسه على الاستهانة فى سبيل أداء رسالته بكل ما يلقى من عذاب وحرمان ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

محمد العشماوى

المستشار الملكى ، ونائب رئيس رابطة الإصلاح الاجتماعى

مما قاله « الرشيد » لمعلم ولده « الأمين » :

يا أحمر . إن أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه . فصير يدك عليه مبسوطة . وطاعته لك واجبة . فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن — وعرفه الأخبار . . وروه الأشعار — وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه — وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالغلظة والشدة .

آمالنا محدودة

لصاحب العزة مريت بطرس غالى بك

الحياة حركة والموت ركود وسكون ، فإذا توقفت الحركة فى إنسان أو ضعفت ، فهذا يدل على أن حيويته ضعفت وأن بنيانه هزيل وأن قوات الموت والانحلال أخذت تتغلب عليه ، والأمة أيضا كائن حى ، يخضع لهذا القانون الطبيعى كل الخضوع ، والحركة والحياة فى الأمة إنما هما فى السير الى الأمام والتطلع الى الرقى والسعى وراء تحقيق مبدأ واضح أو حلم لامع أو أمل فى إسعاد الأفراد والجماعات ، وبغير هذا الطموح وذلك التطلع إلى التحسن والتقدم ، لا تجد إلا ركودا وسكونا وموتا وفناء .

و إذن لتكن لنا آمال فى المستقبل ، ولتكن آمالنا واسعة ما أمكن ، لأنها المصباح الذى ينير طريقنا والثمرة التى تنتظرنا فى نهايته ، ولا نخاف أهدافا بعيدة ، فالطريق على كل حال عسير ، وكرامة الأمة وعزة نفسها إنما تعلو وتزداد بعلو الأغراض التى تجمع عليها ، والحياة كثيرا ما تباعد بين الأمل وتحقيقه ، فهى مساومة شريفة مع القدر أن تضع آمالك عالية واسعة ، حتى تدفعك إلى مضاعفة جهودك ، فتحمد لله إذا وفقك إلى تحقيق شىء من الكثير الذى سعيت إليه .

ولا أقول أن نندفع فى أحلام لا يمكن تحقيقها و برامج بعيدة كل البعد عما نستطيع الوصول إليه ، فإذا كان رأس المصلح فى قمة الجبال وعيناه تنظران إلى آفاق المستقبل ، يجب مع ذلك أن يوطد قدمه فى أرض الحقيقة والواقع ، لا يخطو خطوة دون أن يعود بنظره إلى أسفل ليتبين الطريق ، فلا يكون مثله مثل ذاك الفيلسوف القديم الذى وقع فى بئر بينما كان يسير وهو فى حلم بعيد عن كل ماحوله ، والمهم أن نتعرف قوانا ونختبر مرانتنا ونتبين طريقنا ، ثم نسير فيه الى أقصى ما يمكن النظر إليه دون خوف أو تردد ، و بغير ضعف أو تهاون .

وكم شهد التاريخ نهضات لم تكن منتظرة يوم أن نادى بها بعض الخاصة ، فقيل لهم : " اصحوا من حلمكم وكونوا عمليين " . ولكن الأيام أقامت الدليل على حكمهم ، والشعب انقاد لقوة إيمانهم وتغلب على المستسلمين والمتشائمين وأجمع على الإصلاح ، فتحقق الأمل وأصبح الحلم حقيقة واقعة ، وها هى ذى الأمم تأهب للاصلاح والتعمير بعد هذه الحرب الشعواء التى جاءت نكبة على الإنسانية ، والشعوب فى حركة وغليان والمفكرون والساسة والأحزاب فى كل بلد يرسمون برامج المستقبل و يضعونها أمام الرأى العام صريحة واضحة ، فهذه البرامج ليست إلا أمل اليوم ، وعلى الإيمان والجد والمثابرة أن تجعلها حقيقة الغد .

ونحن أيضا فى مصر عرفنا نهضة من تلك النهضات ، أجمعت الأمة على تحقيقها وناضلت فى سبيلها ، فنالت بعض أهداف الاستقلال والحرية والتقدم فى مختلف المرافق وهكذا قدر لآمال الأمس أن تصبح فى قدر منها حقيقة اليوم ولكن يبدو أنا راكدون فى منتصف الطريق الذى لا يزال أمامنا مرسوما واضحا ، وعلينا أن نتأهب مرة ثانية لنبلغ أهدافا أخرى ، ونحقق قدرا آخر من آمال الأمس واليوم. والظروف الحالية الاقتصادية والاجتماعية — العالمية والمحلية — أوجدت مشاكل معقدة وصعابا جديدة يجب حلها وتذليلها لنسير فى طريق نهضتنا القومية .

ولا يتسع المجال لأن أتناول الآن آمالنا السياسية وما نتطلع إليه من تكملة استقلالنا الخارجى ونظامنا الداخلى ، ولا آمالنا الاقتصادية وما تبغيه من زيادة الانتاج ورفع مستوى المعيشة وتوفير الغذاء والكساء .

والمسكن المريح للجميع ، بل أريد أن أتكلم عن ناحية أخرى هى الناحية الاجتماعية وتتلخص آمالنا فيها فى تمكين الروح القومية ، ونشر الشعور بالواجب والمسؤولية ، وبث فكرة الخدمة والتضحية ، ولا شك فى أن هذه هى الناحية الهامة ، لأننا إذا عنينا بها العناية الكافية واستطعنا أن نهض بها النهضة اللازمة ، أمكننا أن نذلل كثيرا من الصعاب وأن نسير سيرا حثيثا فى طريق الاصلاح المنشود .

هذا إلى أن آمالنا السياسية والاقتصادية مقيدة مع الأسف بكثير من الاعتبارات الخارجة عن إرادتنا إلى حد كبير ، مثل تطور السياسة العالمية وظروفنا الخاصة من ازدحام السكان وقلة المرافق الطبيعية وما إلى ذلك . أما آمالنا الاجتماعية والخلقية ، فلسنا مقيدين فيها ، وهى فى تحقيقها تخضع لإرادتنا وحدها ، ولذلك جاز لنا — بل وجب علينا — أن نعلو بها إلى أبعد حد ، لأن التقدم فى هذه الناحية لا حد له ، اللهم إلا فيما قد ينقصنا من عزيمة وشجاعة أدبية .

لكن الذى نلحظه بيننا على عكس ذلك ، فآمالنا السياسية والاقتصادية كثيرا ما تتجاهل الحقيقة ، وتتناسى تلك الاعتبارات الخارجة عن إرادتنا ، فى حين أن آمالنا الاجتماعية والأخلاقية محدودة متردية ، تؤذن بركود وتشاؤم خطيرين واستسلام لا مبرر له لما نشكو منه من ضعف أو فساد ، ولا أدل على هذا الركود والاستسلام من حكمنا على الرجال فى فضائلهم ورذائلهم ، وواضح أنه كلما سمونا بأملنا فيهم كلما أكثر تدقيقا فى حكمنا عليهم ، وكلما تواضعنا فى رجائنا تساهلنا فى حكمنا .

ولقد لفتت نظرى مرارا صور كثيرة لهذا الاستسلام المشؤوم ، فكم نسمع مثلا أن يقال عن شخص عند ما يراد مدحه والرفع من شأنه "إنه رجل نزيه" . أذكر أن أحد الذين أتشرف بصداقتهم روى لى أنه كان جالسا فى مجلس مع بعض الزملاء من المصريين والأجانب وكان مجال المناقشة ترشيح شخص لتسميه إلى عددهم فى كرسى كان قد خلا عن قريب ، فقام

أحد الحاضرين ورشح شخصا مكتفيا فى تذكيته بأنه أكد نزاهته ، فدهش بعض الآخرين لهذا التصريح ، وكان الأولى به أن يدرك أن هناك فضائل أخرى ، كالرغبة فى الخدمة وروح التضحية يجب أن توضع أيضا فى ميزان الاختيار . والظاهر أننا أصبحنا نرى فى مجرد النزاهة فضيلة تغنى عن كل ما سواها ، حتى يجوز لنا أن نتساءل عما اذا سامنا بأن نسبة النزيهين نقصت لدينا إلى حد أن لفت النظر إلى نزاهة هذا أو ذاك وكأنه أمر نادر ، يجب أن يشكر عليه المرء و يكافأ .

و إليكم بمثل آخر يوضح كيف تواضعنا فى أمانا فى الناس : كم نسمع عن بعض الذين شاء القدر أن يخصهم بشىء من مال الدنيا — قل أو كثر — أنهم جديرون بالاعجاب والثناء ، لأنهم مجتهدون فى استثمار مالهم وادارته على أحسن وجه . ماذا نفهم من هذا الحكم إن لم يكن أننا نسلم بأن عدد المتهاونين كثر إلى حد أن غير المتهاون أضحى يشار إليه إشارة خاصة ؟ أو هل نستنتج منها أنا استسلمنا للتهاون بالمصلحة العامة الى درجة نرى معها فى مجرد العناية بالمصلحة الخاصة والجد فى تحقيقها فضيلة يحمد عليها المرء ؟

وكثيرا ماتقول عن زيد أو عمر : أنه رجل مؤدب فقد سلم على وحياني بلطف ، فهل أضحت آداب التعاشر العادية نادرة لدينا حتى يقتضى الأمر أن يشار إليها إشارة خاصة ؟ أو هل سامنا بأن المرء الذى يحيى أخاه فى غير غلظة وخشونة هو الآخر يستحق الشكر والثناء؟

أترك للقراء الجواب على هذه الأسئلة ، ولا داعى إلى الإكثار من تلك الصور ، فكل منا يستطيع أن يذكر من أمثالها الشىء الكثير وكل ما يعنينا أن نوضحه هو أنا كدنا نستسلم لما نراه فينا من ضعف اجتماعى وتهاون خلق ، ونرى فى مجرد الكف عن الرذيلة الكفاية والغناء ، فنعتبره أقصى ما يمكننا الوصول إليه وهذا تفكير سلبى لا يقدمنا خطوة فى سبيل النهضة المرجوة . وأما الروح القومية الخالصة والشعور بالتضامن الاجتماعى الصحيح ، وأما الرغبة فى الخدمة والتضحية فقليلا ما نذكرها الآن ، ونادرا ما نحسب لها حسابا فى آمالنا الغد ونقيم لها وزنا فى حكمنا على الناس .

وأعود فأقول أنه يجب علينا أن نهتم بمستوانا الخلقى والاجتماعى ، ونأخذ أنفسنا بأسباب هذه النهضة جادين فى تحقيقها غير متهاونين فيها . فبدل أن نعتبر مثلا النزيه أو المجد أو المؤدب شاذا فى بيئتنا وجديرا بالثناء ، نرى على عكس ذلك الشذوذ فى غير النزيه أو المجد ، ونعيد لمعانى الخدمة والتضحية ما كان لها من وزن وقت أن نهضنا بعد الحرب الماضية ، ونطالب أنفسنا والناس بها فنعلوا بآمالنا عن مستوانا الحالى ونحاول كل منا أن

يضع هدفه فى حدا بعيدا عاليا ، لا يغفر لنفسه تهاونا ، ولا يستسلم للفساد أو الضعف بل يحتفظ دائما بروح الاستنكار والثورة على من لا يشعر بمسئوليته نحو الأمة ولا يؤدى واجبه لها.

والأهم ليس إلا أمس تربية الرأى العام تربية تقوى إحساسه بالنقص وتشجع غضبه على التهاون والفساد . ولا شك أن العبء الأكبر فى هذا يقع على القادة والرؤساء ، سواء فى السياسة أو الإدارة أو التعليم أو المؤسسات والأعمال الحرة فعلى هؤلاء الخاصة تقع المسئولية الأولى ، وعلى شعورهم بالواجب وحسن أدائهم له تبنى آمالنا فى المستقبل . ولكن مسئوليتهم الكبرى لا تعفى كل واحد منا فى محيطه الخاص — واسعا كان أو ضيقا — من أن يلعب دوره فى هذه التربية ويشترك فى تحقيق النهضة التى لا بد منها إذا أردنا أن نعد عدة الغد .

فنخرج إذا من ركودنا ، ولنتخلص من ذلك التشاؤم والاستسلام الذى نما بيننا نماء الحشيش فى الحقل عندما يتهاون الزارع ولا يقوى على حرث أو عزق أو رى . لنزداد ثقة بأنفسنا ونسمو بآمالنا فى التقدم الاجتماعى والنهضة الخلقية ، ونضاعف جهودنا فى تحقيقها والله نسأل أن يوفقنا إلى ما فيه خير هذا الوادى المبارك وهذا الشعب الكريم .

مريت بطرس غالى

متى كانت علاقتنا العامة — أى علاقتنا القومية — ضعيفة ، وثقتنا بعضنا ببعض بالية ، كان رأينا العام مضطربا ، أعجز من أن يعبر تماما عن رأى البلاد . وأبعد من أن تكون آثاره سعدا علينا . وليست هذه النتيجة نتيجة نظرية ، بل الواقع الملموس فى بلادنا هو اضطراب الرأى العام فى الحكم على كثير من مسائلنا الحيوية .

أحمد لطفى السيد باشا

وظائف الأسرة

فى غابر تاريخها وحاضره

للدكتور على عبد الواحد وافى

أستاذ الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تطورت هذه الوظائف فى جملتها من الأوسع إلى الواسع ، ثم إلى الضيق فالأضيق . فوظائف الأسرة فى أقدم عهودها كانت واسعة كل السعة ، شاملة لمعظم شئون الحياة الاجتماعية . ولكن المجتمع العام أخذ ينتقص هذه الوظائف من أطرافها شيئا فشيئا ، ويستلبها من الأسرة واحدة بعد أخرى ، حتى كاد يجردها منها جميعا .

فالأسرة فى مبدأ نشأتها كانت تقوم بجميع الوظائف الاجتماعية تقريبا ، فى الحدود التى يسمح بها نطاقها ، وبالقدر الذى تقتضيه حاجاتها الاقتصادية والدينية والخلقية والقضائية والتربوية وما إلى ذلك .

ويبدو هذا بشكل واضح فى الشعوب التى تعتبر ممثلة فى نظمها لأقدم مراحل الإنسانية ، وهى العشائر البدائية بأمريكا واستراليا . فكل عشيرة من هذه العشائر كانت أسرة مستقلة ، إذ لم يكن لديهم فرق بين أسرة وعشيرة . وكل عشيرة من هذه العشائر كانت كذلك بمنزلة مملكة مستقلة ، تقوم بمختلف الوظائف الاجتماعية ، وتمثل فيها جميع السلطات والهيئات المعروفة فى العصر الحاضر .

فكانت هيئة اقتصادية تقوم بانتاج ما تحتاج إليه ، وتشرف على شئون التوزيع والاستهلاك والاستبدال الداخلى ، وكان لا يكاد يجرى بينها وبين غيرها معاملات اقتصادية ذات بال ، لأنها كانت تعمل جاهدة على أن تكفى نفسها بنفسها ، فتنتج جميع ما تحتاج إليه ولا تستهلك إلا بقدر إنتاجها . حقا أنه كان يحدث من حين لآخر أن يتم بينها وبين غيرها بعض مبادلات كانت تجرى غالبا وفقا لنظام الهدايا الملزمة Sono Obligatoires وهو نظام كانت تجرى بحسبه المبادلات فى صورة هدايا تقدمها العشائر بعضها لبعض فى مناسبات دينية واجتماعية خاصة (الولادة ، الزواج ، الختان ، حلول عيد دينى ... وهلم جرا) ويترتب قبولها منزلة التزام من جانب المهدى إليهم أن يردوا إلى المهدين فى مناسبات أخرى هدايا تزيد قيمتها غالبا عما قدم إليهم ولكن هذه النظم كانت إلى المجاملات الاجتماعية أو فى منها إلى وسائل الاستبدال الاقتصادى بمعناه الدقيق ، ومهما يكن من شىء فالاسرة نفسها هى التى كانت تشرف على تنظيم هذه الهدايا كما كانت تشرف على تنظيم شئونها الاقتصادية الأخرى .

فالأسرة كانت تمثل جميع الهيئات الاقتصادية التى تمثل فى العصر الحاضر فى المصارف والمصانع والشركات ... وما إلى ذلك ، وتشرف على جميع شئونها المادية ، ولا تصدر فى هذه الناحية إلا عما يرسمه عقلها الجمعى ، ويتفق مع رغباته .

وكانت بجانب ذلك هيئة تشريعية ، فهى التى كانت تضع الشرائع ، وترسم الحدود ، وتمنح الحقوق ، وتفرض الواجبات : وبالجملة كانت تقوم بنفس الوظائف التى تقوم بها الهيئات النيابية فى العصر الحاضر .

وكانت بجانب ذلك هيئة سياسية تنفيذية ، فهى التى كانت تشرف على شئون سياستها العامة ، وتنظم علاقاتها بما عداها من العشائر ، وتتعهد تنفيذ ما تضعه من شرائع ، وتؤدى نفس الوظائف التى تقوم بها الحكومات فى أممنا الحديثة .

وكانت إلى جانب ذلك هيئة قضائية ، تقوم بالفصل فيما ينشأ بين الأفراد من خصومات وتعمل على رد الحقوق إلى أهلها ، والقصاص للمظلوم من الظالم ، وحراسة القانون ، وعقاب من يعتدى على حرماته ... وما إلى ذلك من الوظائف التى تقوم بها سلطاتنا القضائية .

وكانت إلى جانب هـذا كله هيئة دينيـة خلقية وهيئة تربوية . فهى التى كانت تضع قواعد الدين ! وتفصل أحكامه ، وتوضح مناهجه ، وتقوم بحراسته . وهى التى كانت تضع النظم الخلقيـة ، وتميز الخير من الشر ، والفضيلة من الرذيلة ، وترسم مقاييس الأخلاق . وهى التى كانت تقوم بتربية الأطفال من النواحى الجسمية والعقلية والخلقية ، وتهيىء وسائل إعدادهم للحياة المستقبلة .

فلم تغادر هذه الأسرة أية ناحية من نواحى الوظائف الاجتماعية إلا اضطلعت بها وأشرفت على شئونها .

* * *

وقد ظلت الأسرة الانسانية محتفظة بهذه الوظائف الواسعة إلى عهد قريب . فالأسرة الرومانية مثلا فى العصور القديمة ما كانت تختلف فى هذه الناحية اختلافا كبيرا عن الأسرة فى الشعوب البدائية .

فقد كان من اختصاصها شئون القضاء بين أفرادها . وكانت تتولى هذه الشئون ممثلة فى عميدها Pater Familia وقد منحت النظم الرومانية عمداء الأسر سلطة قضائية واسعة . فكان العميد مطلق التصرف فى هذه الناحية لا معقب لأحكامه ، ولا راد لما يقضى به ، ولا حد لسلطته : حتى لقد كان من حقه أن يقضى بعقوبة الإعدام نفسها على أى فرد من أفراد أسرته لجرم ارتكبه . ولم يكن هذا مظهرا من مظاهر الاستبداد أو الفوضى فى الأمة

الرومانية كما توهم ذلك بعض الباحثين ، و إنما كان منشؤه أن النظم الرومانية كانت تنزل الأسرة منزلة الهيئة القضائية بالنسبة لأفرادها ، وتجعل عميد كل أسرة قاضيا لها بحكم عمادته .

وكان من اختصاص الأسرة الرومانية كذلك شئون الدين . فكان لكل أسرة بجانب الديانة العامة التي تشترك فيها مع سائر الأسرات الرومانية ، ديانتها الخاصة وآلهتها وشعائرها وطقوسها ومذابحها ... وما الى ذلك من الأمور التي تميزها من الناحية الدينية عن الأسر الأخرى ، وكان الأشراف على جميع هذه الشئون من واجبات العميد بوصفه الرئيس الأعلى لأسرته .

وكان من اختصاصها كذلك شئون التربية والتعليم ، فهي وحدها التي كانت تشرف في أقدم العصور على تربية أطفالها من مختلف النواحي وفق ما تشاء وتشاء لها نظمها الخاصة ، بدون تدخل من جانب أية سلطة أخرى من سلطات المجتمع العام .

ففي الأسرة الرومانية كانت تمثل الهيئات القضائية والدينية والتربوية . فقد كانت مجمعا دينيا ومعهدا للتربية والتعليم .

وكانت تضم الى هذه السلطات كثيرا من شئون السلطتين التنفيذية والتشريعية ، وتشرف وحدها على تنظيم كثير من شئونها المادية والاقتصادية .

وقد ظلت الأسرة في كثير من الشعوب الانسانية متمتعة بهذه المزايا ومشرفة على جميع هذه الشئون الى عهد غير بعيد ، ثم أخذ المجتمع العام يطغى سلطانه على سلطان الأسرة وينتقص وظائفها من أطرافها ، ويسلبها منها وظيفة وظيفة ، وينشيء لكل وظيفة منها هيئة خاصة على أسس مستقلة عن الأسرات ، وقد ساعد على ذلك ظهور الدول الكبيرة التي انتظمت الدويلات والمجتمعات السياسية الصغيرة ، وقيام الديانات العالمية التي اختفت أمامها العقائد المحلية والعائلية .

فانتزع المجتمع العام من الأسرة الوظيفة التشريعية ، وأنشأ للاشراف على شئونها هيئات مستقلة تشرع للأمة جمعاء وتتمثل في المجالس النيابية وما اليها .

وانتزع منها كذلك السلطة التنفيذية ، وأنشأ للأشراف على شئونها هيئات خاصة تتمثل في الحكومات ، وتضطلع بأمور السياسة وتنفيذ التشريع في الدولة .

وانتزع منها كذلك الوظيفة القضائية ، وأنشأ للاشراف على شئونها هيئات مستقلة تتمثل في المحاكم وملحقاتها ، وتعمل على تطبيق القانون وتحقيق العدالة بين جميع أفراد الأمة .

وانتزع منها كذلك الوظيفة الدينية ، وأنشأ للاشراف على شئونها هيئات خاصة تتمثل في الرؤساء الروميين والمجامع الدينية والكنائس وما اليها ، ولم يكن ثمت بد من ذلك التطور بعد أن انقضى عهد الآلهة الخاصة التي كانت عبادتها مقصورة على عشيرة أو عشائر ،

وظهرت الديانات العامة التي يشترك فى اعتناقها أفراد شعب كامل بل أفراد شعوب كثيرة ؛ فمن الواضح أن ديانات هذا شأنها تقتضى رؤساء من نوع آخر غير رؤساء العشائر ومعابد من طراز آخر غير منازل العائلات .

وانتزع منها كذلك وظائف التربية والتعليم ، وأنشأ للاشراف عليها هيئات خاصة تتمثل فى وزارات المعارف ومجالس التعليم ومعاهده والمؤسسات الرياضية والثقافية بمختلف فروعها ووضع نظما تقتضى من حرية الأسرة وتفرض عليها التزامات بصدد تربية أولادها وتعليمهم كنظام التعليم الالزامى الذى يجبر كل أسرة أن تبعث بأولادها فى مرحلة معينة من مراحل طفولتهم الى مدارس خاصة لتلقى منهج دراسى عام ارتضته الدولة لجميع أفراد الشعب .

وانتزع منها كذلك الوظائف الاقتصادية وأنشأ للاشراف عليها هيئات خاصة تتمثل فى المصارف والمصانع والشركات والجمعيات الاقتصادية والمالية ، وبذلك أصبح الفرد لا ينتج لنفسه ولا لأسرته كما كان يفعل قبلا وإنما ينتج للمجتمع ، ولا كاد يستهلك إنتاج غيره ، وأصبح المجتمع العام هو المشرف على جميع هذه الشئون .

فماذا بقى للأسرة إذن بعد هذا كله من وظائفها القديمة ؟

لا تزال الأسرة تشرف على كثير من نواحى التربية ، فهى وحدها التى تقوم بجميع شئون التربية فى الأدوار الأولى من الطفولة ، وعليها يقع قسط كبير من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية فى جميع مراحل الطفولة بل فى المراحل التابعة لها كذلك ، وفى الأمم التى تغير معاهدها الدراسية على نظام الحياد فى شئون الدين (Laicité) فتنتقض يدها من جميع الأمور التى تتصل بهذه الناحية ، وتخلو مناهجها من جميع مواد التربية الدينية كالفرنسيين ومن نهج نهجهم ، فى مثل هذه الأمم يقع عبء التربية الدينية كاملا على عاتق الأسرة وحدها ، هذا الى المساعدات القيمة التى تقدمها الأسرة للمدرسة فى مختلف النواحى التربوية والثقافية والتعليمية والتى لا تستطيع بدونها معاهد الدراسة أن تحقق شيئا يعتد به فى هذا السبيل ، وبفضل الحياة فى الأسرة يتكون لدى الفرد الروح العائلى L'Exprit de famille وتنشأ الاتجاهات الأولى للحياة الاجتماعية المنظمة ، وتنتقل اليه لغة بلاده وكثير من عاداتها وتقاليدها ، ولا تستطيع أية هيئة أخرى أن تغنى غناء الأسرة فى هذه الشئون ، وفضلا عن هذا كله فإن الأسرة فى كثير من البيئات وخاصة البيئات الزراعية لا تزال الى الوقت الحاضر محتفظة بنصيب غير يسير من وظائفها القديمة .

على عبد الواحد وافى

الأسس العلمية لبناء الخلق الاجتماعى

للدكتور ابراهيم سلامة
أستاذ التربية بدار العلوم

يتحدث الكثيرون عن الاصلاح الاجتماعى ، ونسمع من الكثيرين عن التضامن الاجتماعى ، والعدالة الاجتماعية ، والتربية الاجتماعية . وليس أدل على عنايتنا بهذه العبارات ومدلولاتها من أن نهضتنا الحديثة تمخضت عن وزارة برمتها تسمى " وزارة الشؤون الاجتماعية " ومع ذلك لم نسمع إلا قليلا عن الخلق الاجتماعى ، وأقل القليل أن نسمع شيئا من الأسس العلمية التى يبنى عليها ذلك الخلق . نريد إذن أن نتحدث عن حقيقة الخلق الاجتماعى . ما هو ؟ وهل هو يتنافى مع الخلق الفردى أو يدخل فيه ؟ ونريد أن نتحدث بصفة خاصة عن المبادئ التى يبنى عليها ذلك الخلق الاجتماعى .

هذه المبادئ العلمية التى يبنى عليها الخلق الاجتماعى لاتخرج عن ثلاثة المبادئ الآتية التى تقررها علماء الاجتماع : المبدأ الأول أن يستشعر الإنسان أنه يعيش فى طائفة من الطوائف وأنه ليس وحيدا فى هذه الحياة ، وليست التربية فى محاولاتها أو علم النفس فى نظرياته يطالب بإظهار مواهب لذاته ، بل ليتفع بهذه المواهب ولينتفع بها الجماعة التى يعيش فيها . والمبدأ الثانى أن يربى الفرد على خلق الحد من مطالبه ورغائبه وأن تشذب تلك الرغائب والشهوات تشذيبا يمنع عنها الشذوذ والخروج وأن يعدل من غرائزه بما يجعلها تتعدى إلى الغير أو تتعدى على الأقل إلى المحيط الذى يعيش فيه : فكل رغبة جامحة ، ونزوة طامعة يحد منها ، يسقط هذا الزائد من حساب الفرد ليضاف الى حساب الجماعة . والمبدأ الثالث هو حرية التفكير ، وحرية النزوع والإرادة . فالعمل الذى يقهر عليه صاحبه لايسمى خلقا ولا ينبغى أن يخط فيه سطر واحد فى باب الأخلاق . تلك هى المبادئ الثلاثة التى أقرها علماء الأخلاق وعلماء الاجتماع معا وسنقتصر فى حديثنا عن المبدأ الأول بما يكشفه ويجليه .

ويقتضينا عرض الموضوع هذا العرض السريع أن نتعرف الجماعة التى نربى من أجلها الخلق . وبعبارة علمية أن نتعرف على الكائن الاجتماعى الذى نطالب به كل كائن فردى بالعمل من أجله ، الكائن الاجتماعى يعيش معنا ونعمل من أجله كما نعمل من أجل أنفسنا ، فالوالد يعمل من أجل ولده ، والولد يعمل متأثرا خطى والده ونصائحه ، ومسترقا من طريق الطبع ميوله وغرائزه . والزوجة تعمل من أجل أولادها ، والمعلم يعمل من أجل تلاميذه وهم يعملون من اجله أو من أجل الوطن ، ويكون الكل مخطئا إن اعتقد أى فرد من أفراده أنه يعيش لنفسه ويعمل لنفسه ، وكما يعيش هذا الكائن معنا يعيش فينا أيضا وهو الذى يدفع العامل إلى العمل من أجل غيره وإلى إتقان هذا العمل ، بل إلى الإخلاص فيه . وهو الذى

يدفع العالم إلى الاختراع ليفيد باختراعه أكبر عدد ممكن من قومه وقبيله أو من الناس عامة وبمقدار الفائدة التي يستفيدها الكائن الاجتماعي يخلد من ذكر الفرد ويبقى على الدهر آثاره.

إذن نحس أثر الكائن الاجتماعي إذا ما اجتمعنا على فكرة من أجل المطالبة بحق سلبا أو مجد سلف ، ونحس أثره في المظاهرات الوطنية التي يقصد بها خدمة رأي من الآراء أو فكرة من الأفكار أو خدمة الكائن الاجتماعي الأكبر الذي هو الوطن ، ونحس أثره في أعيادنا وفي مآتمنا. ونحس أثره في الحجيج يهتف باسم واحد ويرمي إلى فكرة واحدة وإذن فالكائن الاجتماعي يعيش بيننا ويعيش فينا وهو الذي يسيرنا وهو الذي نسير من أجله وهو يد الله التي تعمل مع كل جماعة فتباركها وتزيد في إنتاجها . ولأن "يد الله مع الجماعة" أي روحه ومعونته فلا تحتسب الجماعة بالأفراد، وليست الجماعة فردا متكررا كما يقول بعض الناس، بل الجماعة هي الأفكار والمبادئ التي تعمل باسمها الناس ، وهي الغايات والمثل التي يتطلع إليها الناس، وهي البذل والتضحية التي يستهين بها الناس في سبيل غاياتهم وفي سبيل الوصول اليها ، فرب عديد لا روح فيه لأنه لا مبدأ له . ورب جمع يتسلط عليه فرد ، فيقاد كما تقاد الأنعام . ورب طائفة أو أمة يتزعمها زعيم له غايته وليس له روح أمته فيودي بها جميعا إلى الهاوية فالجماعة الجديدة بهذا الاسم هي التي تتكون من جماعات صغيرة لكل منها مبادئها وأفكارها ، واتجاهها وغايتها ، وفلسفتها ومثلها . تلك الجماعة جديرة بأن يكون الله معها وجديرة بأن تحتفظ بكيانها ، "وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" .

فالمبدأ الأول الذي ننادي به ليكون أساسا للخلق الاجتماعي هو أن ينضوي الفرد تحت جناح طائفة من الطوائف الاجتماعية وهو ما يعبر عنه علماء الاجتماع بالالتصاق الجماعي .

هذا المبدأ يشمل الأخلاق الأسرية ويشمل الأخلاق المدرسية فالمدرسة جماعة وجماعتها ليست أقل خطرا ولا تأثيرا من الجماعة الأسرية. والإلتحام بالفكرة لا يقل أثرا عن الإلتحام بالدم والنسب والمصاهرة ويشمل هذا المبدأ الأخلاق النقابية على اختلاف أنواعها سواء منها من يشتغل أفرادها بالأعمال اليدوية ومن تكون أداته الفكرة والمنطق والعلاقات المختلفة بينه وبين أبناء مهنته .

وإذا حدثنا علماء الأخلاق بالأخلاق الأسرية وعلاقة الوالد بولده ، والمرأة بزوجها ، والأخ بإخوته، وحدثونا بمحبة الخير، وضرورة الإيثار ومضار الأثرة . وإذا حدثونا بالحرية والأحياء والمساواة ، وإذا حدثونا بمحبة الوطن والعمل لخير المواطنين فانما يصدرون عن فكرة واحدة ويتناصون من معين واحد هو معين المبدأ الأول وهو ضرورة التصاق الفرد بجماعة من الجماعات . وإذا رجعنا إلى تطور هذا القانون الخلق وجدنا أن الأسرة هي المهد الأول الذي احتضن الأخلاق ووجدنا أن في حرارة الأسرة الدافئة أفرخت الأخلاق كثيرا من المبادئ العالية ، فالأخلاق في الرومان كانت مصونة
في رب الأسرة ، والأخلاق في الأمة العربية كانت مصونة في العشيرة وفي القبيلة ، وكانت

الدنية تركب من فرد واحد فصيب عارها العشيرة كلها ، والاهانة تلحق أى فرد فكأنما أصابت القبيلة جميعها ، ولكن الفرد فى القبيلة الرومانية وفى القبيلة العربيـة الجاهلية كان مسلوب الإرادة غارقا فى لجة هذه الجماعة الالية التى يحركها زعيمها كما يريد و يقضى التطور ان تتقلص الأسرة الى أب وام وأطفـال وأقارب يقضى التمدين الخلق أن يكون كل واحد من هؤلاء عارفا بما له و بما عليه مقدرا لحقوقه وواجباته وسار مع هذا التطور الدين الاسلامى بجعل للولد فى عنق أبيه حق تربيته ، ومن لا والد له فأمره فى عنق المسلمين جميعا وولية ولى الأمر فى الجماعة التى يعمل فيها ، وقضى ربك ألا تعبدوا أياه و بالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبـة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا مترية ، ولكن هذه الأسرة أو هذه الجماعة الأولى التى يتصل بها الطفل أول ما يتصل بالحياة قد أهملت واجبها ، وتفككت رابطتها وتشرد أفرادها تحت تأثير الحيـاة الاقتصادية التى قضت بأن تشتغل المرأة وأن يشتغل الصغار ، أو تحت تأثير التخاذل الاجتماعى الذى سببه الطلاق وتبعه التشرد ، أو سببه تعدد الزوجات وتبعته العداوة والبغضاء بين بنى العلات أو بين بنى ابناء الحرائر المختلفة فأصبحنا لا نرجو من ورائهـا خيرا فى وضعها ونستطيع أن نؤكد أن الاغلال الخلق الذى أصاب غيرنا من الأمم الأوربية إنما أصابهم عن طريق انحلال الأسرة فقد خرجت المرأة للعمل وكان عملها ضرورة مؤقتة من ضرورات الحروب المتواليـة التى سببت نقصا فى الأموال والأنفس والثمرات ، فزاحمت المرأة الرجل وهو لا يدرى أنها زاحمت زوجها وولدها فى ميدان العمل فما أخذته من أجر هو ما انتقص من زوجها وولدها وما تلقته باليمين بدرته بالشمال حينما اضطرت الى ترك وليـدها بين يدى المرضعة ، وزوجها بين يدى الطاهى والطاهية ، فسهلت له سبل الخروج من البيت ، وكان كسبها ككسب المقامر يخسر أمام المـائدة التى ربح منها ، باعت المرأة فى أوروبا جهودها واشترت به لبنا لوليـدها ، باعت عواطفها رخيصة باسمة للرئيس أو للعميل عابثة فى وجه زوجها ووليدها ، نقدت أخلاقها فاشترت الرضى والطمأنينة والعاطفة على أولادها من الخادمات والمربيات فى الحضانة ، لذلك تمزقت الأسرة فى أوروبا من هذه الناحية وتمزقت ثروتها لما رضيت أن تشترى كل شئ من السوق وكان المنزل معملا للانتـاج ، مطمعا للاستهلاك ، لا نريد لأسرتنا هـذا المصير و إنما نريد لها البقاء والاستقرار وأن تجرى على تقاليدها وأن تكون ربة الأسرة أما قبل كل شىء وهى تكتسب بأمومتها ثروتها ووليدها ، وتعمل فى بيتها ، وطنهـا الأصغر ، لقوميتها ، وطنها الأكبر الذى ينتظر منها كل خير ، و يعول على عملها فى كل خير يرجيه أو ترجيه ، ولن تكون الأسرة قادرة على أداء هذه الوظيفة إلا إذا كانت الام متعلمة عاقلة لواجبها واعية للمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقها .

فاتصال الطفل بالجماعة الأولى التى هى الأسرة يلزمنا العناية بهذه الجماعة و بين جدران هذه الجماعة الأولى كل الإنتاج الحيوى للوطن .

أهملت الأسرة وأهملنا الأسرة وألقينا بالطفل إلى الجناح الثانيـة وهى المدرسة ، فأفلست هى أيضا فى مهمتها الخلقية والتمس لهـا بعض العذر فى هـذا الإفلاس : فإنمـا

يجدى عمل المدرسة فى الأرض الخصبة لا الجدبة ، و إنما تجدى مبادئ المدرسة فى الطفل المربى على قبول المبادئ والاستعداد لخير .

إنما تسيطر المدرسة على طفل تعرف أباه وأمه وتتصل بهما ، وقبل المعلم الأب ، وقبل المصلحة الأم ، وأقبل أخوان المدرسة إخوة اللحمة والدم . وجدت الجماعة الثانية وهى المدرسة أن الجماعة الأولى وهى المنزل قصرت أيما تقصير . فلم ينتقل الطفل — إذ انتقل من البيت إلى المدرسة — من وسط إلى وسط إنما دار فى بيئة واحدة كما يتردد ، حارس الميل حول منزل فلم يلبث أن يصاب بالدوار فينام . واجب الآباء والمعلمين أن يتلاقوا فى المدرسة يتباحثون فيما أفاد الطفل وفيما أزاد ، ليكمل أحدهما الآخر والتضامن الاجتماعى أساسه أن تشترك الجماعات المتمم بعضها بعضا وأن يتصل حتى تسلم ما عهدته إليها الطبيعة إلى الوطن و إلى الهيئة الاجتماعية كاملا غير منقوص .

و إذا انتقلنا من هذه الجماعات الصغيرة حينما يصير الطفل شابا وجدنا أنه لا بد له من جماعة أخرى ، وهنا تتعدد الجماعات بتعدد الوظائف فى الأمة . فهناك جماعات علمية وهناك جماعات للعمل تختلف باختلاف صناعاتهم ، وهناك جماعات رياضية وهذه نعتمد عليها كثيرا فى باب الأخلاق ، بل تحاول هذه الجماعات من أول نشأتها أن تكون إنسانية عامة وأن يتعارف باسمها المصرى والعربى والهندى والأوربى والصينى والأمريكى متى اجتمعوا جميعا فى ساحة واحدة هى ساحة الرياضة هذا إلى ما تنميه الرياضة من الأخلاق الفردية الجميلة كالاعتماد على النفس وتحديد الغايات وتحديد الدعوات والمطامع وكل تحديد يصل بالفرد إلى أن يكون غير اجتماعى يعمل لنفسه وهو يعمل لغيره و يعمل لغيره وكأنه يعمل لنفسه .

ولكى تؤثر هذه الجماعات من الناحية العقلية ، وجب أن تستغل بجد فيما لديها من المسائل العمليه والفنية ، ولهذا قيل قديما "العقل السليم فى الجسم السليم" و يجب ان يقال حديثا فى باب الأخلاق " الخلق القويم فى العقل الحكيم " . فإذا استحصف العقل ، وعرفت العلاقات بين الاشياء ، وعرفت العال والمعلومات والمقدمات والنتائج ، ظفرت هذه النتائج سليمة من الشوائب والأعلاق التى تظهر كذبا منافية للخلق ، وهى فى الحق منافية للخلق لانها منافية للمنطق ، ويسوءنا جدا أن نجد تكذيبا لهذه الفكرة بين طوائف المتعلمين الذين لا تحصنهم ثقافتهم تحصينا يبعدهم عن الخلق غير الكريم ، ونرجع فنكرر أن العلم لا ينتج جهلا ، وأن الخير لا ينبت شرا ، وان العقل السليم لا يقود صاحبه الى الهاوية وكل ما نريده هو الإخلاص فى العلم والعمل ، هذا الإخلاص الذى يمنع صاحبه من أن يقرر غير ما يعتقد ، وأن يعتقد غير ما يقرر ، نريد إخلاصا صحيحا فى الاعمال الجماعية كالصلاة الصحيحة التى لا بد واصلة بصاحبها الى أن تنهاه عن الفحشاء والمنكر ، والخطر كل الخطر على الأخلاق أن تعتقد كل جماعة أن لها حقوقا وتهمل تادية ما عليها من واجبات .

دكتور
ابراهيم سلامه

ذكرى الهجرة

لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد مأمون الشناوى
وكيل الأزهر الشريف

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا . يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا .

أرسل الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والإيمان ، فاخذ فى أول الأمر يدعو إلى دين الله سرا ، واتخذ دار لأرقم مكانا للاجتماع فكان يوافيه فيها السابقون ممن آمن به فيبلغهم رسالة ربه ، ولم يزل على هذا الحال إلى أن نزل عليه قوله سبحانه : وأنذر عشيرتك الأقربين ، فجمع عشيرته وبشرهم وأنذرهم وقال لهم : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة ، والله لا تموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا ، وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا ، والله يا بنى عبد المطلب ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة ، فلما سمع عمه أبو لهب منه ذلك أغلظ له فى القول وقال : يا بنى عبد المطلب خذوا على يديه قبل أن تجتمع العرب عليه فان أسلمتوه ذللتم ، وإن منعتموه قتلتم ، قال الله تعالى فى شأنهم :

وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۞ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۞ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۞ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ .

ثم أمر أن يدعو الناس كافة ، إذ أنزل عليه قوله عز شأنه :

فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ .

فصدع أمر ربه ، ولم يدع وسيلة فى تبليغ الرسالة إلا قام بها ، فأغضب هذا قريشا عليه مع أنهم كانوا فيما بينهم يعترفون بالحق له ، ولكنهم يجهرون بما يكذبون به على أنفسهم وعلى الناس حتى رموه صلى الله عليه وسلم بالسحر ، والكهانة ، والشعر ، والجنون ، وذلك كله حرصا على بقاء السيادة لهم ، ولقد نبههم إلى خطئهم النضر بن الحارث إذ قال لهم ، يا معشر قريش والله قد نزل بكم من ما أتيتم له بحيلة قط ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، وكان أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ، ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهنة وتخالجهم ، وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها ، وقلتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ، ولا وسوسته ولا تخليطه ، يامعشر قريش انظروا فى أمركم فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم ، ولقد حاولوا أن يرجعوه بشتى الوسائل فقد قال له عتبة بن ربيعة ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت إنما تريد به شرفا سودناك علينا ، فلا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد ملكا ملكناك ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ، أقد أفرغت يا أبا الوليد ، اسمع منى : ثم تلا عليه آيات من سورة فصلت "السجدة" فلما قرأ قوله سبحانه :

فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ .

استرحمه عتبة أن يشفق على قومه ، حتى إذا فرغ من تلاوة قوله تعالى :

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ،

سجد وقال له يا أبا الوليد قد سمعت ما سمعت فانت وذاك فلما لم يجدهم ما حاولوا قاموا فذهبوا الى عمه أبى طالب ، وعرضوا عليه مثلما عرضوا على ابن أخيه وأنذروه بسوء العاقبة ، فقال له يا ابن أخى ، إن قومك قد جاءونى فى أمرك ، فابق علىّ وعلى نفسك ، فقال لعمه ياعم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الدين حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته ، ثم استعبر وترك عمه ظانا أنه خاذله

فناداه عمه وقال له : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت والله لا أسلمك لشيء أبدا ، ولما لم تان لهم قناته عمدوا الى السخرية والاستهزاء به واضطهاد أتباعه ، حتى لقد بلغ من أمرهم أن جاء عقبة بن معيط بسلا جزور ، فقذفه على الرسول وهو ساجد ، فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها حينما بلغها الخبر ، فرفعته ودعت على من وضع ذلك ، وأبوجهل ومعه أناس يسخرون ويضحكون ، فلما فرغ النبي من الصلاة قال : اللهم عليك بعمرو بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، وقد استجاب الله دعاء نبيه فقتلوا جميعا يوم بدر ، بل بلغ من اضطهادهم أن قرروا مقاطعة محمد وعشيرته وكتبوا بذلك عهدا ، ووضعوه في جوف الكعبة ، فرأى عشيرته أن ينتقلوا الى شعب أبي طالب ، فمكثوا فيه ثلاث سنين حتى نفدت أقواتهم ، وأكلوا أوراق الشجر ، وكان بعد ذلك ما كان من هجرة بعض أصحابه إلى الحبشة ، ولما يئس صلى الله عليه وسلم من هداية قومه أخذ يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج ، ويدعوهم إلى الحق الذي جاء به ، ويطلب منهم أن يحموه وينصروه ، وكان مما يتلا عليهم قوله عز وجل :

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

ولم يشأ أبو جهل أن يتركه إذ ذاك . فكان يسير وراءه ويقول . يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب . فكان لتكذيب قومه له صلى الله عليه وسلم أثر كبير في أعراض الناس عنه ولم يستحسن دعوته إلا نفر من سكان يثرب فانهم أجابوه . ووعدوا بعرض دعوته على قومهم اذا رجعوا اليهم . وفي العام التالي حضر منهم عشرة من الخزرج . واثنان من الأوس فآمنوا بما جاء به . وعادوا إلى يثرب وعرضوا الدعوة الاسلامية على قومهم . وفي العام التالي حضر منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وأسلموا . وبايعوه صلى الله عليه وسلم على مناصرته والذود عنه . ولو أدى ذلك الى فنائهم جميعا . فلما علم المشركون بهذه البيعة وخافوا سوء عاقبتها فكروا فيما يعملون من وسائل القضاء عليه .

فاجتمعوا فى دار الندوة . وقال أحدهم أن محمدا قد كان من أمره ما قد رأيتم . وأ. والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد أتبعه من غيرنا . فاجمعوا فيه رأيا . فأشار أحدهم بأن يحبسوه فى الحديد حتى يموت . فلم يقبل هذا الرأى لأنهم خافوا من اتباعه أن يثبوا عليهم وينتزعوه من بين أيديهم . ويغلبوهم على أمرهم . وأشار آخر باخراجهم ونفيه . فلم يوافق على هذا الرأى أيضا وحجتهم أن محمدا حسن الحديث . حلو المنطق . فلا بد اذا خرج أن يتبعه أناس يغزوهم بهم . وإذ ذاك قال أبو جهل . أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا فنيا . ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه . فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه . فانهم ان فعلوا ذلك . تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضون منا بالدية . فوافقوا كلهم على هذا الرأى واختاروا عددا كبيرا من شبابهم القوى . للفتك بالرسول . فاجتمع هؤلاء الشباب ببابه صلى الله عليه وسلم وانتظروا حتى إذا نام فتكوا به ولكن الله سبحانه رد كيدهم فى نحرهم فأوحى إلى نبيه بما بيت المشركون له من الشر . وأمره بالهجرة الى المدينة فاتفق عليها النبى صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبى بكر رضى الله عنه .

ولما حان الوقت أمر النبى عليا أن ينام على فراشه . وخرج والقوم بالباب وهو يتلو من سورة "يس" فلم يرد أحد منهم لأن الله جعل على أبصارهم غشاوة . فلما أفاقوا من غشيتهم اقتحموا الدار . فلم يجدوا إلا عليا نائما على فراش ابن عمه "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقابل مع أبى بكر الذى أعد العدة لذلك من قبل . وكان هذا فى شهر ربيع الأول (وانما جعلوا مبدأ العام الهجرى المحرم لأنه أول السنة عندهم أو هو شهر الله ومنصرف الناس من حجهم) فلما أصبحا اختفيا بغار فى جبل ثور بأسفل مكة وبقى الرسول والصديق فيه ثلاثة أيام وثلاث ليال . وكان الرسول كلما رآى من صاحبه شيئا قال له : ما بالك باثنين الله ثالثهما لا تحزن ان الله معنا ، "إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

أما المشركون فقد ثارت ثائرتهم وأخذوا يبحثون عن الرسول فى كل مكان و يقصون أثرهم . فلما بلغوا الغار اختلط عليهم الأمر ، وأحالوا أن يكونا قد دخلا هذا الغار وهذه حاله . ورجعوا خائبين . ولكن من شدة حرصهم على ايذائه جعلوا لمن يعثر عليه فيرده أو يقتله مائة ناقة .

ولما هدأت الحال خرج النبي والصديق من الغار وركبا الراحلتين اللتين أعداهما من قبل وسارا فى طريقها إلى المدينة و بينما هما سائران . إذا بسراقة بن مالك يلاحقهما فقد أغراه ماأعده المشركون من المكافأة . ولكن فرس سراقة عاقت رجلاها الأماميتان فى الأرض ثلاث مرات . وإذ ذاك طلب من الرسول الأمان فأمنه ورجع . ووصل الرسول وصاحبه إلى المدينة فاستقبلا من المسلمين بالحفاوة العظيمة وبهذا دخلت الدعوة الاسلامية فى دور جديد أساسه الأخوة الدينية التى عقدها الهدى النبوى بين المهاجرين والأنصار فارتبطت بذلك القلوب . وتكونت بينهم وحدة قوية زلزلت بقوة إيمانها الشرك وعصفت به حتى أسقطت شرقائه . واجتثت جذوره . وطهرت جزيرة العرب من عبادة الأوثان . ودخل الناس فى دين الله أفواجا . وصارت كلمة الله هى العليا . وكلمة الذين كفروا السفلى . ثم تتابع الوحى بعد ذلك ينظم الشئون . ويبين الأحكام . ويوضح للناس طريق العز والسعادة فى الدنيا والآخرة . وفى الحق لم تكن الهجرة فرارا من التعذيب والتنكيل ولا خوفا من الايذاء والتقتيل . وإنما كانت لانجاح الدعوة الاسلامية وتبليغ الرسالة على أتم الوجوه وأكملها . ونشر رحمة الله بين العالمين .

أيها المسلمون : لعلكم تذكرون مالاقاه الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون الأولون فى سبيل نشر الدين . وتركيزه فى النفوس وحياطته بكل ماأوتوا من حول وقوة . لعلكم تذكرون ذلك فتستيقظوا من سباتكم . وتنشطوا من عقالكم . وتعملوا على إعادة مجدكم ولينصرن الله من ينصره . ان الله لقوى عزيز .

مأمون الشناوى

أصول الإصلاح الاجتماعى

للأستاذ محمد الخضر حسين

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

يعمل المصلحون على أن تكون شئون أمتهم الاجتماعية فى نظام وصفاء ، ولا تستقيم هذه الشئون ؛ وتخلص من كل كدر ، إلا حيث تكون الأمة قد استوفت وسائل القوة والمنعة ؛وهى الارتواء من مناهل العرفان ،والرسوخ فى مكارم الأخلاق ، والاعتصام بحبل الائتلاف والاتحاد ، وتوفر الأيدى على العمل لكسب الأرزاق . وهذه الوسائل الأربع إنما تعود على النفس بطمأنينة ، وتذيقها طعم حياة لذيذة متى سبقها إيمان يضرب بأشعته فى كل سبيل .

فتفاضل الأمم فى مراقى العزة والقوة ، يجرى على قدر تفاوتها فى الإيمان والعلم وكرم السجايا ، ومتانة الاتحاد ، والسعى لاكتساب الطيب من الرزق .

أما الإيمان فهو النور الذى يسعى بين أيدى الجماعة يرد بها كل ورد عذب ، ويرتاد بها كل مرعى خصب ، وهو الوسيلة التى يتقون بها رضا الخالق جل شأنه ،و إذا ظفروا برضا الخالق ، وفقهم إلى كل عمل مجيد ، وجعلهم إذ يجاورون غير المؤمنين هم السابقين ، وإذ يناضلون غير المؤمنين هم الفائزين .

وقد دل التاريخ الصادق والمشاهدات المتواصلة على أن المتمسين إلى دين حق ، لا يدركهم خمول ، ولا تعلو عليهم يد ممن سواهم إلا حيث يتضاءل الإيمان فى قلوبهم تضاؤلا ينسيهم جلال علام الغيوب ، ولا يبقى لحكمته البالغة عليهم من سبيل .

والسياسة الرشيدة تعلم يقينا أن للإيمان الصحيح فضلا فى تقوية صلات الألفة والاتحاد وفضلا فى تهذيب النفوس وانتظام الأمن فى البلاد ، فتوجه عنايتها إلى تربية النشء على تعظيم أمر الله تعظيما يتجه بهم الى أفضل السير ، وأحمدها عاقبة ، وفى الحق أن من يضع فى نفس الناشئ إيمانا مسندا إلى حجة ، إنما يبنى فيها أساسا للسيرة القويمة ، والعواطف الكريمة .

وأما العلم فنريد منه المعارف التى طلعت من أفق النبوة الصادقة ، واستنبطتها العقول الثاقبة أو ثمرتها التجارب الصحيحة ،وفضل هذه العلوم فى استبانة طرق الفلاح ،واستكشاف ما فى هذا العالم من أسرار ، وتوفير أسباب الراحة فى هذه الحياة واضح بحيث يشهد به كل ذى باصرة ، أو أذن واعية ، والذى أرى التنبيه له فى هذا المقام هو أن الشرف أنما جاء إلى العلم من ناحية العمل به ، فلو بلغ شخص الدرجة القصوى فى علم من العلوم ، ولم يكن لهذا

العلم فى حياته العلمية من أثر، لكان هو والجاهل به سواء . فلا فضل للعالم بالشريعة إلا أن يقف بجانب حماتها ، ويأخذ نفسه بآدابها ، ولا فضل للعالم بالهندسة إلا أن يكون له قسط فى تثبيت قواعد العمران والحضارة ، ولا فضل لدارس الطبيعة إلا أن يضع يده فيما يجلب للانسانية راحة أو يزيح عنها نصبا ، ولا يحق لدارس علم أن يعد نفسه فى قبيل أهل ذلك العلم ، إلا أن يستطيع تحقيقه فى صور عملية ، كما يفعل علماؤه الراسخون ، والطالب الذى يقبل على العلم بداعية قوية من نفسه هو الذى يسير فيه إلى أقصى غاية ولا يرضى إلا أن يتجه به إلى الناحية الحيوية التى وضع ودون لإصلاحها .

وليس من شك فى أن المعلم الذى يدرس علما برغبة من نفسه ، هو الذى يصلح لأن يناط به العمل الذى يتصل بذلك العلم ، وهو الذى يرجى لأن ينهض به فى غير سآمة ، ويسعده عزمه على أن يقوم به أفضل قيام .

وأما أثر الأخلاق فى رقى الاجتماع ، فإن كل خلق يسد ثغرة فى بناء المجتمع لا يسدها غيره ، فالحاجة الى إقامة المشروعات الكبيرة ، ثغرة لا يسدها إلا خلق السخاء ، والحاجة إلى دفاع البغاة ثغرة لا تسدها إلا الشجاعة ورباطة الجأش ، والحاجة إلى حرية الدعوة إلى الحق ، لا يسدها إلا أقدام الدعاة ، وحلم أولياء الأمور وأناتهم ، ولطالما لججت الألسنة والأقلام بتمجيد الأخلاق ، ونوهت بما لها من فضل فى التصعيد بالأفراد والأمم إلى أوج السؤدد والكرامة . والذى يحتاج الى ألمعية مهذبة ، وبصيرة نافذة إنما هو استبانة الطريق التى تسلك لتربية نشأتنا على الأخلاق الماجدة تربية تجعلهم يقدرونها حق قدرها ، ويتنافسون فيها كما يتنافسون فى العلوم والفنون ، ولا يسعنى هذا المقام إلا أن أقول :

إن المعاهد والمدارس التى يدرس فيها علم الأخلاق، ويكون رؤساؤها وأساتذتها أنفسهم مثلا كاملة للأخلاق الراقية ، هى الكفيلة بأن تخرج لنا نشأ نباهى بسمو أخلاقهم ، قبل أن نباهى بغزارة علومهم ، ورجاحة عقولهم ، وطلاقة ألسنتهم ، قال عمرو بن عتبة لمعلم أولاده : ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح ما تركت .

وأما الاعتصام بحبل الائتلاف والاتحاد فان فى الناس من تقصر يده عن الوصول إلى حقوقه الشخصية ، ومآربه الحيوية ، إلا أن يعينه عليها قوم آخرون ، كما أن من مقتضيات الحياة الاجتماعية ما يتعذر القيام به إلا أن تتمالأ عليه الجماعات الكثيرة ، والتعاون الفردى أو الاجتماعى إنما يصدر عن إئتلاف وتعاطف يجعل الأمة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، فإن تفرقت القلوب ضاعت المصالح الفردية ، واختل أمر المصالح الوطنية ، وصارت البيوت بحال القبور ، وان كانت مفتحة الأبواب ، وسكانها بحال الجثث الهامدة : ولكنهم لا يستغنون عن الطعام والشراب .

وأما الثروة فتدخل فى أصول الإصلاح من ناحية أن كثيرا من المصالح الحيوية لاتقام إلا أن يبذل فى سبيلها مال غزير ، ثم إن كثيرا من الأخطار الداهمة لا يكفى فى دفعها إلا قوة يسعدها الأغنياء بأموالهم قبل أن يسعدها الحكماء بآرائهم ، و إذا استطاع الفرد أن يعيش فى قلة من المال وهو حافظ لكرامته ، فان الأمة لا تعيش حافظة لكرامتها إلا أن يكون فى خزائنها أو بيت مالها ما يسد حاجاتها ؛ و يكفل لها السلامة من كل قوة تحاول أن تسلبها حقا من حقوقها .

وشعر الناس فى القديم بمزية المال ومساعدته لذى الهمم الكبيرة على أن يدركوا من المجد ما لا يدركه المقلون منهم ، كما قال أحد أدبائهم .

أريد بسطة مال أستعين بها على أداء حقوق للعلا قبلى

وكذلك الأمم لا تدرك سيادتها كاملة إلا أن تضيف إلى ما لديها من بسطة العلم وسماحة الأخلاق بسطة فى الأرزاق . وقد جعل الله تعالى لبسطة الرزق أسبابا ؛ وجعل تعاطى هذه الأسباب صالحة معدودا فى الطاعات التى يجازى عليها بالحياة الطيبة فى الدنيا ؛ والنعيم الخالد فى الآخرة ؛ والزهد الذى يعد فى جملة الفضائل لا يراد منه إيثار الفقر على الغنى فى كل حال و إنما يراد منه طهارة القلب من التعلق بالملذات والزينات تعلقا يدفع إلى الوصول اليها ولو من طرق خبيثة ؛ والتوكل على الله الذى هو شعبه من شعب الإيمان المثمر إنما هو قوة اتجاه القلب إلى الخالق عند العزم على العمل ؛ حتى يسعده بالتوفيق ؛ و يمده بالتأييد وشاهد هذا قوله تعالى

"فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا أعزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين".

محمد الخضر حسين

ترامـيتم ، فقال الناس : قوم إلى الخـذلان أمرهم ترامى !

تباغيتم ، كأنكم خلايا من السرطان لا تجد الضماما

(شوقى)

أمهات المشكلات الاجتماعية

مشكلات الأسرة

للدكتور محمد غلاب أستاذ الفلسفة بالأزهر

تمهيد :

تعددت فى هذا العصر المشكلات الاجتماعية وتشعبت فروعها واتسعت جوانبها ، وسيزداد كل ذلك امتدادا وتعقدا كلما تمت المدنيـة وسطعت أضواء العـلم والعرفان فى الزوايا التى لما تزل مظلمة من العقول البشرية . وهكذا يصبح حل تلك المشكلات الاجتماعية وقهرها والتخلص من أضوا كها الحادة من الصعوبة والعسر بمكان بقـدر تلك الشعبات وإذا كانت هذه الصعوبة أمرا محققا كانت مهمة المسئولين الرسميين — كوزارة الشؤون الاجتماعية مثلا — شاقة ، بل خطيرة . فأما مشقتها فهى ننجم عن شدة سهرهم على معالجة هـذه المشكلات المترامية الأطراف ، وأما خطرها فينبغى أن يكون حافزا لهم على وجوب العناية باختيار الأفراد الذين توكل إليهم معالجتها إلى حد التردد وطول الأناة ، لأن الأقلام التى تترجم عن عقول غير متنبهة من مصادرها تنتج بشر النتائج ولو كانت مرسلة فى طلب الخير المحض ، إذ الجهل خير من نصف العلم كما تقولون .

لذلك نحن نوجب على أنفسنا — قبل أن نوجب على غيرنا — أن نسير فى هذا الطريق الشائك الوعر سير الحذر المتمهل الذى يحدد لكل خطوة موضعها قبـل أن يخطوها تقديرا منا للمسئولية الثقيلة المنقاة على عاتقنا حين نعرض لمعالجة بعض المشكلات الاجتماعية خصوصا فى هذه الظروف القاسية التى تحدق بنا الان ونحن نجتاز مرحلة من أخطر مراحل التطور والإنتقـال .

غير انه لاينبغى أن هذا الحذر وذلك الاحتياط يحولان بيننا و بين اقتحام هـذا البحر اللجى من المشكلات مهما كنا على يقين من أنه يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، وتكتنفه ظلمات بعضها فوق بعض بل يجب علينا أن نساهم فى تشييد تلك المنارات التى لنا موطد الأمل فى أن تعظم مع الزمن حتى تصير كافية لإرشاد سفن الحيـاة الاجتماعية بمصر واقتيادها إلى شاطئ السلام والأمان ، ل إلى مرفأ الفوز والانتصار .

ولقد شئنا أن نبدأ بحوثنا هذه بمعالجة مشكلة الأسرة معالجـة علمية مؤسسة على أدق ما وصل إلينا من آراء أساطين الاجتماع فى العصر الحديث ، معلقين عليها بما يعين لنا من أفكر شخصية مرحبين بالنقد أصدق ترحيب ، لأن غايتنا المثلى هى الوصول إلى الحقيقة فى ذاتها أولا ، وتحقيق أجل نواحى السمو الاجتماعى فى مصرنا العزيزة ثانيا .

أما حكمة بدئنا بمشكلة الأسرة فهى واضحة ، إذ أن الأسرة هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع ، والخلية الأساسية فى جسمه إذا نظرنا إلى التكوين ، وهى قلبه النابض إذا نظرنا إلى الاحتفاظ بالحياة ، وهى محوره إذا نظرنا إلى دوام الحركة والنشاط . وفوق هـذا كله فان الأسرة هى الصورة الأمينة للدولة ، أو المرآة التى تنعكس عليها هويتها كما هى ، أو اللسان الصريح الذى يترجم عمـا يكنه فؤادها . وقصارى القول هى كما وصفها العالم الاجتماعى الفرنسى دوركيم بقوله :

" إن الأسرة هى مجتمع كامل يمتد أثره إلى نشاطنا الاقتصادى كما يمتد إلى نشاطنا الدينى والسياسى والعلمى وماشاكل ذلك ، وإن كل ما نعمله من أعمال هامة ولو قليلا هو صدى من أصدائها " .

إذا كان للأسرة كل هذا الشأن وكان كل ما يأتيه المجتمع من أفعال لا تندرج أنواعها تحت حصر ولا يحصيها عد ليست إلا ثمار غرسها ، أو أصداء أصواتها على حد تعبير دوركيم ، فقد كان من الطبيعى أن نبدأ
بحوثنا بمعالجة مشكلتها ، ولكن لا ينبغى أن يفهم من كلمـة الأسرة ذلك الإطار الضيق الذى يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى والذى لا يدرك السواد الأعظم تعريفا لها غيره . كلا ، فليس ذلك إلا جانبا ضئيلا من جوانب الأسرة الاجتماعية التى نود أن ندرسها هنا دراسـة علمية مؤسسة على تاريخ الجماعات البشرية منـذ نشأتها البدائية إلى العصر الحديث .

ولقد أردنا أن نقسم هذا البحث إلى ثلاثة أقسام : ندرس فى القسم الأول منها نشأة الأسرة ونتتبع تطوراتها المختلفة التى تعاقبت عليها خلال هذه القرون الطويلة ، ونبرز الفروق بين المظاهر المتباينة التى خلعها عليها الزمن فى عصوره البعيدة المدى . ونتناول فى القسم الثانى كيان الأسرة ونظرات الأجيال المتعاقبة إليه ، وما احتـدم بين أهل تلك الأجيـال من مجادلات حول معضلات ذلك الكيان : كالطلاق وتعدد الزوجات والميراث وما شاكل ذلك . ونعنى فى القسم الثالث بالدور الذى قامت به الأسرة ولا تزال تقوم به فى حياة الفرد ثم فى حيـاة الدولة ، بل فى حياة المجتمع كله . وإليك التفصيل :

١ — نشأة الأسرة وتطوراتها ونمـاذجها المختلفة

(أ) نشأة الاسرة وتطورها :

يحدثنا التاريخ وعلم السلالات البشرية بأن الصلات التى وثقتها الطبيعة بين أفراد الأسرة[1] قد بدت على ممر العصور ولا تزال تبـدو عند مختلف الشعوب فى عدد هائل من الصـور المتباينة والمظاهر المتعارضة ، فتارة نجد بين أفرادها قرابة أبوية فحسب ، وأخرى نشاهد فيها

(١) لا فرق فى ذلك بين الأسرة بمعناها الضيق الذى لا يتناول إلا الزوجين والأولاد ، والأسرة بمعناها الواسع الذى يشمل جميع الأقارب على نحو ما سنبين ذلك المعين فى موضعهما .

قرابة أمومية ليس غير ، وثالثة نرى فيها قرابة من الجانبين ، ورابعة نقف فيها بإزاء تعدد الزوجات ، وخامسة نلقى أنفسنا أمام توحيد الزوجة ، وسادسة نلتقى فيها بالزواج المشترك أو الزواج الاشتراكى كزواج جميع الأخوات برجل واحد — كما يوجد فى بعض مقاطعات الصين أو كزواج جميع الإخوة بامرأة واحدة — كما يحدث فى نجد تبت ، وسابعة نقف فيها على الزواج المؤقت أو الذى يباح فيه الطلاق ، وثامنة نصادف فيها الزواج الأبدى الغير القابل للانحلال ، وغير ذلك من الاصلاحات التى يسميها البعض أنظمة و يستكثر عليها البعض الآخر هذا الاسم الذى لا ينبغى أن يطلق إلا فى حالات التقنين والتثبيت . ولا جرم أن الباحثين المحدثين عندما وقفوا أمام هذا المنظر المعقد حارت ألبابهم وتزلزلت أقلامهم ، وأخيرا أقدموا بعد الإحجام على بدء مذاهبهم بنظريتين : فأما أولاهما فهى ما نستطيع أن نسميه بنظرية الثبات أو الاستقرار ، ومجملها أن النموذج البدائى العام ، بل الطبيعى الأوحد ، هو الأسرة المؤلفة من زوج وزوجة وحيدة وأبنائهما على نحو ما هو سائر فى أوربا فى العصر الحاضر ، أى أن هذا النموذج العصرى هو الذى احتفظ بصورته البدائيـة احتفاظا تاما تقريبا واجتاز الأخطاء الاجتماعية والآثام الأخلاقية التى اقترفتها الإنسانية خلال العصور المتتابعة ، إذ أن جميع الصور الأخرى التى ظهرت فيهـا الأسرة على مسرح الحياة مباينة لهذا النموذج البدائى والعصرى و . ليست إلا فسادا فى الطبيعـة وانحرافا عن الفطرة وضلالا عن الصراط السوى .

ومن أشهر العلماء الذين صدعوا بهـذه النظرية ودافعوا عنهـا دفاعا قويا مجيـدا الفيلسوف الفرانسى دى بونالد ، وهو فى هذا تقول :

" إن النوع البشرى قد ابتدأ وجوده بأسرة واحدة ، و برهان ذلك محسوس ، وهو أن بقاءه يستمر بوساطة أسر ، وأننـا لو فرضنا أنه لم يبق منه إلا أسرة واحدة لكانت كافية فى تكوين المجتمع من جديد " .

ومن أنصار هذا الرأى الذين تأثروا بدى بونالد تأثرا واضحا العـالم الاجتماعى الفرانسى " لى پليه " وتلاميذه والعالمـان الانجليزيان ، سومنيرمين ، وستيرمارك .

أما النظرية الثانية المعارضة للأولى وهى نظرية الاختلاط Lathesedelapromiscuite فمؤداها أنه لم يكن فى مبدأ الإنسانية إلا اختلاط فوضوى بين الجنسين ، وأن العلاقة بين ذكور البشر و إناثهم كانت على أتم ما يكون من الحرية ، وعلى الإجمال لم يكن هناك أى وجود لمـا ندعوه الآن بالأسـرة . ومن أشهر أشياع هذه النظرية العلماء : لوبوك ، وباشوفين ، ومورجان .

هذا هو موجز النظريتين المتعارضتين . و يرى علماء الاجتماع المعاصرون أنهما كلتيهما خاطئتان لإفراطهما فى المغالاة ، و يعتقدون أن الحق فى هذه المعضلة هو أن الأسرة لم تنشأ بادئ ذى بدء على الصورة التى هى عليهـا فى العصور الحديثة فى أوروبا ، كما يدعى أصحاب الرأى الأول ، وهم يجزمون بأن كثيرا من عناصر الصورة الحالية للأسرة هى محدثة

نسبيا ، ولكنهم يرون كذلك أن الإنسان البدائى قد عرف الأسرة وارتبط بروابطها منذ نشأته ، إذ من الزيف أن يقال إن الجماعات المحطة بعيدة عن القواعد ، طليقة من القوانين فالأسرة فى تلك الجماعات خاضعة لقوانين قاسية وتقاليد ضيقة ثقيلة الحمل كما سنرى أثناء عرضنا — مع علماء الاجتماع — بالنماذج المختلفة للأسرة .

(ب) النماذج الأساسية للأسرة :

١ — ألكلان التوتمى [1] La clan to timque — يرى أنصار الرأى المعتدل الذى أسلفناه آنفا من علماء الاجتماع العصريين أن أولى الصور البدائية للأسرة بمعناها الواسع هى ألكلان التوتمى أى الجماعة التى تألفت من أفراد يعتبر كل منهم الآخرين أقارب له ، ولكنهم جميعا لاينظرون إلى هذه القرابة إلا من حيث إنها هى الرابطة بين الجميع وبين هذه القداسة الأبوية العليا ، وهم يغضون عن كل ما عدا هذا الاعتبار من صلات القرابة . أما التوتم نفسه فهو كائن حى أو شيء مقدس ، وهو فى أغلب الأحايين حيوان أو نبات تحمل الجماعة أن تدين بانحدارها منه اسمه الذى هو رمزها الأوحد ، وهى فوق ذلك تعتقد بأنها تدا هم فى طبيعته مساهمة تختلف سريتها وغموضها كثرة وقلة باختلاف ظروف تلك الجماعة وأحوالها . فإذا كان هذا التوتم ذئبا مثلا فإن جميع أفراد الجماعة يعتقدون أن جدهم الأعلى ذئب ، وأن فيهم جميعا شيئا من الذئبية . ولهذا هم يدعون أنفسهم بالذئاب .

تعتبر إذا هذه الجماعة أسرة مؤلفة من أقارب وإن كان أفرادها لا ينظرون إلى هذه القرابة إلا من ناحيتها المعنوية المقدسة . فحسب ، كما أسلفنا . أما الصلات الدموية فهم لا يعتبرونها ولا يعملون على تميتها ، بل بالعكس هم يضعفونها ويحدون فى محوها ، إذ يحظرون المصاهرة بين أفراد الجماعة .

يوجد التوتميم عند الجماعات البدائية فقد عثر العلماء على آثاره فى الأزمان الغابرة عند سكان .

الكهوف ، كما التقوا به لدى الأمم القديمة المتمدينة قبل تاريخ مدنيتها ، وهم لا يزالون يجدونه الآن بارزا ملموسا عند الشعوب التى ربطت بينها روابط التاخر والانحطاط وإن لم تجمعها صلات الجنس أو اللغة أو المكان وذلك من فعل سكان أستراليا الأصليين ، وسكان أمريكا الشمالية ، وهنود أمريكا الجنوبية ، وياكوت اسيريا ومن إليهم .

يسوق الاجتماعيون العصريون للتدليل على أن هذه الجماعات المغرقة فى الانحطاط كانت خاضعة لقواعد قاسية برهانا واضحا وهو تلك الظاهرة العامة لدى جماعات ألكلان

---

(١) نحتفظ هنا بهاتين الكلمتين الفرنسيتين لأننا لم نجد لهما مقابلين دقيقين فى اللغة العربية إذ معناهما الجماعة البدائية التى يقدس أفرادها حيوانا أو شيئا لاعتقادهم أنه جدهم الأعلى الذى انحدروا منه ، وقد ترجمنا أولاهما وهى : ألكلان فى مواضع أخرى بالقبيلة أو الطن أو الفخذ ولكنها هنا اصطلاح فى العلماء الاجتماع فلا يمكن أن تؤدى معناها إحدى تلك الكلمات الثلاث السالفة .

التوتمي ، وهي خطر التزاوج بين أبناء الجماعة الواحدة وبناتها ، واعتباره جريمة وجعل الإعدام عقوبة لمرتكب هذه الجريمة . وهم يعللون على هذه الظاهرة بقولهم : من هذا يتبين زيف الزعم القائل بأن الجماعات البدائية خاضعة لرغباتها وغرائزها بحسب ، ولا تقيد بقوانين أية كقطعان الحيوانات .

٢ — الأسرة الأمومية — لدينا من الأسباب العلمية ما يحملنا على مسايرة العلماء : موريه ، ودافي ، ولانج ، في دعوى أن التوتم كان في المبدأ ينتقل من جيل إلى جيل بوساطة السلسلة الأمومية وحدها ، أما اليوم فهو لا يقتصر على هذه السلسلة وإن كنا لا نزال نجد هذه الظاهرة سائدة في عدد من الجماعات المنحطة كبعض سكان أمريكا الجنوبية . وكيفية هذا الانتقال أن الطفل كان لا يحمل إلا اسم جده الأموي ، وبالتالي كان لا ينتسب إلا الى توتم أمه . ومعنى هذا أن الجماعة كانت مؤلفة من الأفراد المنحدرين من نسائها . فحسب ، أما الزوج — وهو أجنبي قطعا — فقد كان ينتقل إلى مقر أسرة زوجته ليعيش معها في صف أدنى من صفها ، بل إنه كان أحيانا يرفع جرية إلى أسرة زوجته وينزل لها عن جزء من صيده ، وأما أولاده فلا يحملون اسمه ولا توتمه الخاص ، وإنما هم يحملون اسم أمهم وتوتمها كما قلنا .

على أنه لا ينبغي أن نخلط بين هذه الحالة وبين الظاهرة الاجتماعية الأخرى التي حدثت لدى بعض الجماعات المستمتعة بحظ من الرقي وهي ظاهرة نظام الماتريارکا

الذي كانت فيه المرأة مستمتعة بسلطان وسيادة حقيقيين ، إذ أن السلطان في الجماعات التوتمية لم تكن للمرأة نفسها وإنما كان لأسرتها ومتناوله الفعلي هو أخوها أو خالها الذي بيده كل السلطة ، أما المرأة ذاتها فانها — فضلا عن خلوها من السلطة خلوا تاما — كانت في أغلب الأحايين موضع محقرة تلاقي من سوء المعاملة مالا طاقة لها باحتماله .

٣ — من الأسرة الأمومية الى الأسرة الأبوية — غير أن هذه الظاهرة لم تلبث أن تطورت تدريجا — شأن كل ما في الوجود — فبدأ الأب يحس بما في موقفه هذا من ضعة ومهانة بجعل يجتذب إلى ذاته شيئا من السلطان ، وقد نجح فعلا فنقل زوجته إلى حيث تعيش أسرته ، وقد اقتضى هذا أن ينشأ أولاده بين عشيرته وإن كانوا قد ظلوا أول الأمر ينتسبون إلى توتم أمهم إلا أنه كان من طبائع الأشياء أن تضمحل الصلة الأمومية مع الزمن وأخذ الصلة الأبوية في الطغيان عليها شيئا فشيئا حتى انتهى الأمر بانتقال الأولاد إلى اسم أبيهم وتوتمه ، وهكذا حل الانتساب الى الأب محل الانتساب إلى الأم ووجد نظام البنوة المعتمد على السلسلة الأبوية وحدها ، ذلك النظام الذي ساد الشعوب المتمدينة في الشرق والغرب الأثريين وإن كانت صوره مختلفة ومظاهره متباينة بتباين حظوظ تلك الشعوب من المدنية .

البريد ومسايرته للحالة الاجتماعية

فى العالم عامة ومصر خاصة

تاريخه وتطوره

للأستاذ حسن الحطيم

البريد من أولى النظم التى تساير الشؤون الاجتماعية فى كل بلد وكل عهد وعصر، ومن أكثرها اتصالا بمدنية الشعوب ، فهو الوسيلة الأولى لنقل أوامر الدولة وتعاليم الحكومة وتيسير العلائق بين الجماعات بعضهم ببعض وبين الحكومة والجمهور، والجمهور والحكومة على السواء . بل إن البريد ليعتبر مقياس حضارة الشعب ، فكلما كان منتظما سريعا متعدد الوسائل ومختلفها ، كان ذلك مظهرا لتقدم الشعب وتحضره ، فهو يتعثر ويتقهقر فى العهود المظلمة ويتقدم ويتطور فى عهود الحضارة والعمران .

وهو فى مصر ، كما هو فى غيرها خاضع لهذه العوامل ، ولهو لم يزدهر بحق إلا فى بداية القرن التاسع عشر فى عهد المغفور له محمد على باشا رأس الأسرة المالكة ، وزاد ازدهاره فى عهد عاهل مصر العظيم اسماعيل ، ثم بلغ مبلغا تغبط عليه البلاد فى عهد المغفور له ملك مصر السابق "فؤاد الأول"، وها هو ذا يزداد تقدما فى عهد مليك مصر المحبوب "فاروق الأول" أيد الله ملكه وحفظه حفيظا على مصالح البلاد .

فقد تعددت وسائل البريد ودق نظامه — فمنه ما ينقل بالبواخر وبالسكة الحديد ومنه البريد الجوى ثم البريد المصور، والبريد العادى والبريد المستعجل وكل ذلك دليل على الحالة الاجتماعية التى تسايرها البلاد — بعد أن كانت الرسائل فى العصور القديمة مكونة من أوراق البردى تعقد بالخيوط عقدا محكما ، ثم تختم أطرافها بالطين ، ثم بالشمع لتصونها من عيون الفضوليين وتحافظ على أسرار المتراسلين ، وكان بعض الرسائل مكونا من شريط من الجلد تكتب عليه الرسالة ثم يلف على عصا يحملها المرسل اليه ويقرأ الرسالة على الشريط حتى شاع استعمال الورق فكان العرب أول من استعمل الخطابات فى أغلفتها أى فى ظروفها فى بداية القرن التاسع ثم انتقلت الى أسبانيا فى القرن الثانى عشر، ومنها انتشرت فى الممالك الأوروبية.

وقد كانت مصر كأقدم بلاد العالم من حيث العمران والمدنية ، وأرفاها من الناحية الاجتماعية الى البلاد اتباعا للنظم البريدية ، فقد كان لا بد للملوك الفراعنة من أن يتصلوا بعمالهم فى البلاد ببريد منتظم يحمل إليهم تعاليمهم ويتلقى أنباءهم .

أما بريد الجمهور فقد كان لا يعدو الأغنياء يبعثون برسائلهم مع عبيدهم ، وكان الفقراء يتهزون الفرصة فيرسلون بكتبهم مع هؤلاء العبيد .

وكان البطالسة أول من استحدث بريدا منتظما وتبعهم الرومان ، ثم البيزانطيون الذى استخدموا البريد السريع لنقل الرسائل ، والبطئ لنقل الأشياء ، ثم تدهور الحكم فتدهور نظام البريد حيث استبدلت الخيول بالحمير لعجز الولاة عن الانفاق على خيول البريد .

حتى جاء العصر العربى فنظم البريد وكانت بمصر كجزء من الخلافه العربية الاسلامية سبعة خطوط بريدية من القاهرة الى قوص ومن قوص الى بلاد النوبة ومن قوص الى سواكن ومن القاهرة الى الاسكندرية عن طريق دردان ومن القاهرة الى الاسكندرية عن طريق قليوب ومن القاهرة الى دمياط مارا بسرياقوس ومن دمياط الى غزة .

ولما استقل الولاة المماليك بحكم مصر ألغوا بريد الخلفاء واستبدلوه ببريد كان ينقله السعاة المشاة ثم استخدمت الجمال ثم استحدث استخدام الخيل فى عهد الظاهر بيبرس فى عام ١٢٦٠ ميلادية ، وكان تمت خط بين القاهرة وأسوان على ضفاف النيل وخطان آخران القاهرة وأسوان وبين الاسكندرية ودمياط وخط بين القاهرة ودمشق ممتدا الى حمص وحماه وحلب حتى يصل الى الفرات ، هذا عدا الخطوط المحازية لشاطئ البحر الأبيض والآخذة من دمشق الى بعلبك ومن دمشق الى مكة ، وكان البريديون يحملون شارات خاصة هى لوحة النحاس أو الفضة منقوش على أحد وجهيها " لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ضرب فى مصر المحروسة " وعلى وجهها الآخر " عز لمولانا السلطان الملك " الدنيا والدين ... سلطان الاسلام والمسلمين ... بين مولانا السلطان الشهير ... الملك خلد الله ملكه " .

وكانت هذه اللوحة تربط الى عنق البريدى بكوفية صفراء ولعل هذه أول فترة ميز فيها البريديون فى مصر .

وقد عرفت مصر البريد الجوى فى أوائل القرن الثانى عشر حيث استخدم الحمام الزاجل بنظام دقيق سريع فأنشئت فى عام ١١٤٦ ميلادية فى عهد السلطان نور الدين محطات للحمام الزاجل لنقل رسائل الحكومة من القاهرة الى الاسكندرية والى دمياط والى قوص وأسوان والى دمشق عن طريق غزة وأورشليم ومن دمشق الى برنه على نهر الفرات ومنها الى قيصرية ومن دمشق الى صيدا و بيروت وطرابلس ومن دمشق الى بعلبك ومن غزة الى الكرك على البحر الميت ومن حلب الى الرحبة على نهر الفرات ، وكانت الجياد تنقل الرسائل عن تلك الطرق ذاتها غير أن الحمام كان يقطع الرسائل فى نلث الوقت الذى تقطعه فيه الجياد ، وكان الحمام يغير بخيرة فى كل محطة كما كانت تغير الجياد ، وقد شاع استعمال الحمام المعادى كذلك ، وكانت تكتب الرسالة من صورتين ترسلان مع حمامتين تطلق إحداهما بعد ساعتين من الأخرى حتى اذا ضلت إحداهما وصلت الأخرى .

وجاء عهد محمد على الكبير فعنى بصفة خاصة بنقل رسائل الحكومة فنظم محطات للبريد بين العاصمة وأهم مراكز القطر فكان السعاة المشاة ينقلون الرسائل بين محطة وأخرى بحيث لا تزيد المسافة بين المحطة والتى تليها أكثر من بضع كيلومترات ، ولا تستغرق أكثر من ساعة وكانت تصل الرسالة من القاهرة إلى الاسكندرية فى حوالى ٢٤ ساعة ، وكان يرسل البريد فى مصر الوسطى مرة كل أسبوع ، وفى الصعيد مرة كل شهر ثم امتدت أعمال البريد الى السودان بعد فتحه عام ١٨٣١ فكان وصول البريد من القاهرة الى الخرطوم يستغرق خمسين يوما على ظهور الهجين .

وكان البريد قاصرا على الرسائل الحكومية ثم تعداها إلى رسائل الجمهور فيما بعد ، ثم إلى الخارج حيث كان يتسلمها ربانية السفن أو ترسل عن طريق قناصل الدول أو عن طريق مكاتب البريد الأجنبية التى أنشئ أقدمها بالسويس والاسكندرية عام ١٨٣١ ، أما الرسائل التى كانت تصل إلى مصر من الخارج فكانت ترد ضمن بريد القناصل فى القاهرة والاسكندرية . وقد بدأ القناصل وربانية السفن يظهرون عدم ارتياحهم إلى تلك الطريقة حينما تزايدت الرسائل تبعا لازدياد الجاليات الأجنبية حتى قام فى الاسكندرية أجنبى يدعى كالبوميراتى فأنشأ إدارة بريدية لحسابه لتصدير وتسلم الخطابات المتبادلة بين مصر والبلاد الأجنبية نظير أجر معتدل وخلفه بعد موته أحد أقاربه الذى اشرك معه صديقا له يدعى المسيو موتسى وأطلق على المشروع بعد توسعه إسم البوستة الأوربية وافتتحت مكاتب فى الأقاليم . وفى عام ١٨٥٦ تعاقدت البوستة الأوربية مع الحكومة على نقل ارساليات البريد على الخط الحديدى بين القاهرة والاسكندرية وما بينهما . فكان ذلك بمثابة امتياز باحتكار نقل البريد فى الوجه البحرى . وفى عام ١٨٦٢ ألغت الحكومة مكاتبها وأصبح أصحاب البوستة الأوربية مسئولين عن البريد فى البلاد حتى جاء عام ١٨٦٤ فانتقل هذا العمل فى عهد اسماعيل العظيم إلى سلطة الحكومة التى عينت موتسى مديرا للادارة التى أنشئت إذ ذاك للبريد وألحقتها بوزارة الأشغال ، ثم بوزارة المالية سنة ١٨٦٥ ، ثم تابعة لرئاسة مجلس الوزراء تحت إشراف شريف باشا سنة ١٨٦٥ ، ثم لوزارة الحقانية والتجارة سنة ١٨٧٥ ، ثم لوزارة الزراعة والتجارة سنة ١٨٧٦ ، ثم لوزارة المالية سنة ١٨٧٨ ، ثم لوزارة المواصلات سنة ١٩١٩ . حينما استحدثت وزارة المواصلات عندما رأى المغفور له الملك فؤاد ضرورة توحيد أعمال المواصلات تحت وزارة تربط بين مختلف وسائل المواصلات .

أما طوابع البريد فقد عرفت فى فرنسا فى عهد الملك لويس الرابع عشر عام ١٦٥٣ وفى سردينيا عام ١٨١١ صدرت ظروف مدموغة للرسائل وعرفت فى انجلترا عام ١٨٤٠ وعرفت فى البرازيل عام ١٨٤٣ وتبعتها بلجيكا عام ١٨٤٥ والولايات المتحدة عام ١٨٤٦ وروسيا عام ١٨٤٨ وفى مصر عرفت طوابع البريد عام ١٨٦٦ وكانت تزين بمنظر أبى الهول والهرم حتى كان عام ١٩٢٢ . فزينت الطوابع بصورة حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد

الأول وفى عام ١٩٢٦ صدرت طوابع البريد المستعجل والبريد الجوى . وكانت تصدر الطوابع التذكارية للمناسبات الاجتماعية والعمرانية والمعارض والمؤتمرات التى عقدت فى البلاد، وهى بدورها تسجل نهضة البلاد فى عهدها الجديد حيث صدرت مجموعة من الطوابع التذكارية عام ١٩٢٥ بمناسبة عقد المؤتمر الجغرافى الأول بالقاهرة، ثم طوابع تذكارية للعرض الزراعى الصناعى الثانى عشر ومؤتمر الملاحة الدولى وافتتاح مدينة بور فؤاد ومؤتمرات الاحصاء والطب والسكك الحديدية . وصدرت طوابع تذكارية محلاة بصورة حضرة صاحب السمو الملكى وقتئذ عام ١٩٢٩ بمناسبة ذكرى عيد ميلاد سموه فى العشر سنوات من عمره السعيد المديد باذن الله وكان الإقبال على شرائها منقطع النظير فقد بلغ ماطبع منها مائتا ألف طابع ثمن الطابع خمسة مليمات بيعت كلها فى يومين ولما ثمن الطابع فى السوق فى اليوم الثالث ثمانين مليما ، وليس هذا إلا مظهرا من مظاهر تعلق الشعب بمليكه المحبوب الجالس على عرش القلوب ، وصدرت طوابع تذكارية للزفاف الملكى السعيد فى نوفمبر عام ١٩٣٨ وطوابع تذكارية لزفاف صاحبة السمو الأميرة فوزية فى ١٥ مارس عام ١٩٣٩ .

وطوابع للمليك العظيم الراحل المغفور له فؤاد الأول فى أبريل من العام الماضى كانت كلها محل إقبال الجماهير المتعلقة بأهداب البيت المالك الكريم وقبل أن تصدر طوابع البريد فى مصر عام ١٨٦٦ كان يقتضى الأمر أن يقصد الجمهور إلى مكاتب البريد ليسلم رسائله وأجور نقلها إلى تلك المكاتب ، وعند ما بدئ بتعميم الطوابع بدئ باستعمال صناديق البريد وكان ذلك فى القاهرة ، ولما انتشرت مكاتب البريد فى القطر عم استعمال صناديق البريد العادية ثم الميكانيكية بالقاهرة والاسكندرية وبعض المدن الكبرى وأخرى للبريد الجوى والمستعجل ، وقد بلغت الصناديق فى القطر نيفا وخمسة آلاف صندوق ، و بلغت مكاتب البريد فى القطر ٢٥٠ مكتبا تتناول أعمال المراسلات العادية والمؤمنة والمسجلة والطرود العادية والمؤمنة والمحول عليها والتحصيل والتوفير والحوالات الداخلية والخارجية وأذون البريد الداخلية والانجليزية .

وكما عرفت الطوابع فى أول عهد انتقال البريد لمصلحة حكومية عام ١٨٦٦ فى عهد اسماعيل العظيم فقد عرفت الصناديق فى تلك السنة كما أسلفنا كما ميز البريديون بكسائهم فى ذلك العام استكمالا للنظام وكانت الرسائل توزع من نوافذ البريد ثم انتقلت إلى محال الإقامة بالإسكندرية لتناء أجرتهم فى القاهرة و لاسكندرية الى محال الإقامة مقابل أجر يسير خمسة قروش كل شهر وفى عام ١٧٩٠ جعل التوزيع فى القاهرة والاسكندرية وبعض العواصم الكبرى بمحال الإقامة دون أجر حتى بلغ عدد المكاتب ١٣٠ مكتبا يتناول التوزيع فيها ثلاث مرات يوميا ، وفى عام ١٩٣٢ دخل نظام توزيع لرسائل المستعجلة بما فيها الحوالات والطرود بمحال الإقامة و يقوم بنقل البريد الخارجى شركات بحرية فى مواعيد منتظمة متقاربة

وسايرت البلاد العصر فى سرعته فأصبح ينقل البريد بالجو منذ عام ١٩٣١ مقابل رسم إضافى وهذا تاريخ البريد جملة وفى مصر خاصة يدل على أنه يساير الحالة الاجتماعية للبلاد ولعصر من حيث دقة نظامه وسرعة وصوله وضمانه وتعدد مايحتويه من وسائل ووفرة الرسائل نفسها للفرد كل ذلك يدل على الحالة الاجتماعية ويصورها أصدق تصوير ، وها هو يبلغ فى مصر فى العهد الحاضر مبلغا يشار إليه فكانما كانت مصر من أسبق الأمم فى العمران الاجتماعى واستعمال النظام البريدى إذا هى فى مقدمة الدول من حيث النظام البريدى فى العالم .

إننا نرجو لها هذا المكان الممتاز فى سائر النواحى الاجتماعية والعمرانية فى هذا العهد الزاهر عهد صاحب الجلالة الملك المحبوب "فاروق الأول" حفظه الله وأيد ملكه .

حسن الحطيم

سئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين فى الغزو .

أحدهما قوى فاجر . والآخر صالح ضعيف : مع أيهما يغزى ؟

فقال : أما الفاجر القوى ، فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه .

وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه ، وضعفه على المسلمين .

يغزى مع القوى الفاجر !

« من كتاب السياسة الأهلية لابن تيمية »

سلطان الخرافة

على البيت المصرى

للأستاذ محمد شوقى أمين

لبثت مصر حينا من الدهر ليس بالقصير ، وهى غارقة فى بحر لجى من الجهالة العمياء ، والضلالة الشنعاء ، فكان أبناؤها يتخبطون فى ملابسات حياتهم تخبط الجاهل الضليل ، ويتلمسون فى تعليل أحوالهم ومعايشهم مختلف الحيل والسبل ، ويعالجون شؤونهم الصحية والاجتماعية بما يظهر لهم من التجارب ، وما بين أيديهم من الأسباب مستخدمين فى ذلك كله عقولا فطرية لم يصقلها العقل المكتسب ، ولم ينته إليها ما وصل اليه جديد الحضارة والعمران .

فلما أخذت مصر تتجاذب أطراف المدنية الحديثة ، وينفذ إليها نور العلم ، والعرفان ، بان لكل ذى نظر أننا نرزح تحت أعباء ثقال من الخرافات الضاربة الأطناب ، والجهالات الفاشية فى النفوس والألباب ، فأخذ الرجال يتحررون منها شيئا بعد شىء ، وينفضون عنهم غبارها طبقة بعد طبقة ، ولما برزت الفتيات من خدورهن وأطللن على عوالم المعرفة تخلصن من الخرافة بقدر ما تهيأت له نفوسهن ، وبقدر ما أعانتهن البيئة ومقتضيات الحياة .

بيد أننا لو وكلنا محاربة الخرافات للعلم وحده لطال الزمن ببقاء سلطان هذه الخرافات فى طول البلاد وعرضها ، فلسنا ندرى متى تزول الامية التى تخوض غمراتها زوالا نطمئن به .

ولسنا ندرى إذا زالت أمية القراءة والكتابة حتى تزول أمية العقل والفكر التى تبقى ما دامت المعرفة سطحية ، والاطلاع محدودا ، والثقافة قاصرة . على أن العلم وحده قلما ينجع فى دفع الخرافة وإلغاء سلطانها على العقول فإن مرور الزمن الأطول بها جعلها تتغلغل فى أعماق الأفئدة ، فهى تستمد القوة والمناعة من تبادل الناس الإيمان بها والتسليم لها . وهذا سر ما نراه فى حياتنا اليومية من أناس رجال ونساء أوتو من العلم حظا ، وبلغت مرتبتهم فى المجتمع مبلغا محمودا ، وهم مع ذلك يرسفون فى أغلال من الخرافات لا يملكون الفكاك منها ، لغلبة العادة عليهم وتحكم البيئة فيهم ، ولأنهم إن ضاقوا بمن يستهزىء بهم فى النادر ، أنسوا إلى من يصدقهم ويؤيدهم فى الكثير الغالب .

وقد لا تسلم أمة من الخرافات مهما تبلغ من ازدهار الحضارة وعموم الرقى ، إلا أن الأمم المتحضرة لا يبقى سائدا فيها من الخرافات إلا قدر يسير أو كثير لا يعود عليها بالضرر الجسيم ، فهى تسقط من خرافاتها ما يقيد عقولها عن الأخذ بالحقائق الصحية والاجتماعية التى تضمن سلامة الأبدان والتمتع بمناعم الحياة ، فإذا بقى للخرافة أثر فى نفوس أهلها فهو الأثر الذى لا يجلب ضرا ولا يمنع نفعا

فأما تلك الخرافات التي تعوق الفكر عن أن يستفيد مما استنبطه العلم الصحيح وهدت إليه الحضارة الحقة، فهذه أعداء الإنسان الاجتماعي التي يجب عليه أن يكافح طغيانها حفظا لكيانه .

وربما كان في طليعة الخرافات ما نؤمن به في شأن الجن، أو بتعبير أشهر "العفاريت" ولست أقصد إنكار هذا الضرب من المخلوقات من ناحية وجوده ، فما أنا لذلك بمعترض، ولا لي بذلك حاجة ، وإنما الذي يجب أن نندد به هو ما يتوهمه بعضنا من أن للجن سبيلا عليه ، وأن جنيا يتصرف فيه ويجري منه مجرى الدماء من العروق ، وأن ذلك الجني يتمثل له في اليقظة أو الحلم .

وأدهى من ذلك في التوهم اعتقاد بعض منا أن هؤلاء الجن يعقدون معاهدات تجارية مع بني آدم فإذا بأولئك الآدميين يستطيعون أن يقولوا للجني كن بردا وسلاما فيكون ، قادرون على أن يتعرفوا المطمع الذي يرمي إليه الجني من الإنسان حين يتلبس بجسده، وقد يكون ذلك المطمع جديا أسود أو ديكا أحمر أو حمامة ورقاء ، ومن العجب أن مطالب هؤلاء الجن ليست إلا مغانم مادية يلتهما أولئك الآدميون ، وأعجب من ذلك قبول الجن تلك الضرائب فدية لانصرافهم عن جسد الإنسان وامتناعهم عن إيذائه.

ولو قلبنا النظر في هؤلاء الذين يدعون الاتصال بالجن لرأيناهم من المرتزقة المتكسبين بهذه الحيلة والوسيلة ، أو الذين أصبح لهم بممارسة ذلك الدجل ثراء عريض ، فإذا حاولنا أن نتبين لهم مزايا خاصة تتيح لهم قدرة المخالطة للجن كما نتصورهم لم نجد لهؤلاء الدجالين مزية تذكر .

وكلنا يعلم ما تلاقيه المرأة المصرية من حرج وضيق بسبب هذه الخرافة الطائشة، فالمرأة إذا اقتنعت أو أقنعت بأن ما ينتابها من أعراض المرض أثر لتلبس الجن بها لم تأل جهدا في الانقياد لما يمليه عليها هؤلاء الدجاجلة ، فتراها تكف بتاتا عن التفكير في الطب والأطباء وتبذل وسعها في تحقيق ما يطلبه الجني على لسان حليفه الآدمي . وربما اضطرت إلى أن تتصرف بالبيع أو الرهن في حليها أو أثاث بيتها راضية طيعة . على حين أنها قد تضن بالفضل من مالها على طبيب يشخص الداء ويصف الدواء .

وتتصل بهذه الخرافة الضارة خرافة أدعى إلى الدهشة ، فإن بعضا منا يسهل عليه اعتقاد أن أناسا ينكشف لهم الغيب الذي تفرد الله بعلمه ، وتبلغ الجرأة بهؤلاء الأناس أن ينظروا في فنجانة قهوة أو يلمسوا منديلا أو صرقة ثوب ، ثم ينطلقوا بعد ذلك متحدثين عما يخفيه الغد لشارب الفنجانة ، وما يخبؤه القدر لصاحب صرقة الثوب أو المنديل، وهم لا يتورعون عن الخوض في حديث المستقبل المجهول في سهولة ويسر كأنهم يتلون من كتاب حفظوه عن ظهر قلب مع أن هذا المستقبل المجهول تتكون أحداثه تبعا للأحوال الطارئة ، والملابسات

المتشاكة ، فهو غيب والله لا يظهر على غيبه أحدا . فكيف لهؤلاء الدجاجلة أن يجاهروا بالغيب المستور لقاء دريهمات قلائل ، ولو كانوا يدركون من الغيب شيئا لضاق بهم فضاء الأرض زهوا وافتخارا ، وكانوا أغنى الناس مالا ونشبا !

ولقد جنت الخرافة على بعض المعاني النبيلة الكريمة بجهالتها ضربا من العبث ، وآية ذلك أن زيارة أضرحة الأولياء والصالحين من ذوى قرابة الرسول صلوات الله عليه ، أو صحابته وتابعيهم رضوان الله معنى نبيل كريم يحسن بنا أن نشيد به ونحث عليه ، فإن هذه الزيارات إذكاء للعقيدة وتقوية لروح الدين ، واستمالة للنفوس كى تتطهر من أدرانها ونزواتها ، وفى الزيارات فوق ذلك كله تكريم للأمثلة الصالحة التى ضربها للناس أولئك الأولياء الصالحون بما قدموا من خير وما عملوا من بر ، ومما يؤسف له أن الخرافة تغلغلت إلى تلك المعانى النبيلة فشوهت جمالها ، وأرخصت جلالها ، إذ أصبحنا نرى سيداتنا يقصدن إلى زيارة ضريح بعينه لأن صاحبه مختص بشفاء الأطفال من مختلف العلل والأسقام ، ويعمدن إلى ضريح آخر لأن صاحبته مختصة بإبراء العيون مما يعروها من رمد ورمد . ومن كانت من سيداتنا عاقرا أو تأخر حملها حثت خطاها إلى ضريح فى بطن الجبل لتتمرغ على أرض الضريح فسرعان ما تزول عوائق الحمل . ولا مرية أن هذه كلها ألوان من الخرافات لا يصححها عقل ولا يقرها دين ... ... وكيف يعتقد عاقل متدين أن التلمس لسياج الضريح أو التعلق بأستاره أو التمرغ على أعتابه يخفض حرارة محموم ، أو يشفى عينا رمداء ، أو يدفع النهابا فى الرئة أو الكبد ، أو يزيل عائقا من عوائق الحمل؟ وما شأن هذه الظواهر الجسمانية بزيارة الأضرحة التى يراد بها التماس البركة وتعزيز النفس وتقوية الروح المعنوية ؟

ومن أكثر الخرافات شيوعا وأسرعها تصديقا ما نتصور به تأثير الحسد ، وما أنا بصدد إنكار أن العين حق ، ولكن اعتقاد الحسد شىء وتصور لأثر الحاسد فى المحسود شىء آخر فإن السيدة المصرية إذا شكا وليدها مثلا أسرعت بذاكرتها إلى أقرب من زارها من صويحبات أو جارات فجعلت تؤول ما قالته إحداهن لها تأويلا يدلها على أن الزائرة حسدت ذلك الوليد ، فأصيب بما أصيب به . وهنا يستأثر الحنان بقلب الأم الرءوم ، فما هى إلا أن تؤجج الموقد ، وتذر فيه العود والمصطكا ونحوهما ، وسرعان ما تنعقد سحائب البخور فى مخدع الطفل المريض ، وتعد الأم ورقة مقعرصة على هيئة عروس ، ثم تثقبها ثقوبا بعدد من لها من صواحب وجيران . بل لقد تعمد الأهل فيمن تعد ، بل لقد تثقب ثقبا أو ثقبين لنفسها ولزوجها أيضا . ثم تضرم النار فى الورقة وهى تنظر إليها نظرة الطمأنينة والارتياح إلى أنها ألقت بالحسد وبالمرض فى اللهيب . وبعد قليل أو كثير تتجلى الحقيقة إن كان حظ الأم سعيدا ، فتعلم أن الطفل مصاب بمرض من الأمراض المعروفة بأسبابها الطبيعية وأعراضها الثابتة ... ... وإنى لأفضل ألا أجادل الأمهات المصريات فيما يؤمن به من عواقب الحسد وآثاره ، فلتعتقد الأم كما تشاء أن الحسد قادر على أن يصيب الطفل بالأمراض

المعروفة فى عالم الطب ، ولكنى أرجو أن تعتقد إلى جانب ذلك أن علاج الجسد لا يكون بثقب الأوراق المقصصة على هيئة الأعراس ، ولا بإطلاق البخور كائنا ما كان ، وإنما يكون العلاج بإسلام الطفل العليل الذى نسميه المحسود إلى يد الطبيب ، وليقل أطباؤنا أنهم يعالجون الأمراض الجسدية والأمراض الجسدية أيضا وليسوا هم فى هذا الوصف بكاذبين ولا مدعين ... ...

و إن اتخاذ البخور علاجا لأدواء الجسد ليذكرنا بحانوت العطار ، وهو معسكر عظيم للخرافة السارية فى البيت المصرى . فإن كثيرا منا ما يزالون يرجعون فيما يتداوون به إلى هذا الحانوت .

والواقع المشاهد أننا نرهف آذاننا للوصفات البلدية أيما إرهاف ، ونقبل عليها أيما إقبال ونبذل لها من ثقتنا أكثر ما نبذل لنصح الطبيب وإرشاده وما يصف من الدواء ، والقليل منا من استيقن أن صيدلية العطار لم تعد صالحة لمداواة أهل القرن العشرين . ومما يحدث بيننا أن الطبيب قد ينصرف من عيادة احدى سيداتنا وقد كتب العلاج بعد تشخيص العلة فتدخل الى تلك السيدة زائرة حبيبة يتهلل وجهها بشرا ، فتقص عليها نبأ صاحبة لها كانت تشكو هذه العله نفسها ، وكانت تجد من أعراض العلة ماتجد لك ، وأنها تقلبت بين يدى الأطباء دهرا فما أجدى علاجهم فتيلا ، ثم تناولت المسحوق الفلانى مذابا أو مخلوطا بالحبة الفلانية فأبلت أتم إبلال ، بعد ثلاث ليال . فحين تسمع السيدة المريضة ذلك تزهد علاج الطبيب ، وتستريب به ، وتنفذ ما وصفته حبيبتها الزائرة فتبتاعه على الفور من صيدلية العطار ....

ولست أزعم أن الحبوب والأعشاب خلاء من الفائدة ، فهى أصول الدواء ولكنى أكر على غير المختصين أن يكون لهم حق استعمالها ووصفها للرضى . ولنفرض أن حانوت العطار والصيدلية الرسمية مستويان فى القيمة والفائدة ، فمن الذى أباح لنا أن نستخدم العقاقير من هذه الحوانيت أو من تلك الصيدليات كما نتخيل أو نتوهم ؟ لم يبح ذلك أحد ، ولكن بعض الرجال والنساء يبيحون لأنفسهم أن يكونوا أطباء صيدلة فى آن ، وأن يحسبوا شفاء الأمراض جميعا فى تعاطى قدر من المحلب أو الخولنجان .

لعلى أطلت وأملت ، فليس الحديث الذى نصارح فيه بأدوائنا الاجتماعية بالحديث الذى تهش له الأسماع ، وتهوى النفوس ، ولكن الواجب يقتضينا أن نواجه أعيننا بما نحن فيه ، وأن نجاهد أنفسنا لتلافيه . ولأن نصبر على ألم العلاج ساعة خير من أن نعانى الداء سنين !

جامعة القرية

للدكتور سيد فهمى كريم

فى ميدان المؤتمرات العالمية ، حيث تتبارى الدول لتحوز كل منها قصب السبق فى مرافق النهضة العالمية فى مختلف نواحيها ، أدهشنى أن أسمع اسم مصر يتردد فى كلمة الافتتاح ، فى مؤتمر لم يكن يخطر على بال أنه سيكون لها فيه صوت ؛ وهو مؤتمر التعليم الالزامى ومحو الأمية — فبينما تقف دولة كسويسرا لتفخر بمرور مائة عام على اعلان الحرب على الأمية بين جميع طبقات الشعب ، ومرور ما لا يقل عن ربع قرن على محو الأمية تماما تعلن فى المؤتمر وثيقة بأن مصر كانت أول دولة فى التاريخ وضعت برنامج التعليم الالزامى وترجع تلك الوثيقة التاريخية المخطوطة على ورق البردى ، والمحفوظة بمتحف برلين ، إلى عهد الملك اخناتون ، أى إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام ، وحملت بين طياتها رسالة أو برنامجا يعد مفخرة للعصر الذى ترجع اليه ، والذى أطلق عليه " العصر الذهبى " .

بجانب ما جمعته تلك الوثيقة ، أو الرسالة ، من أنواع مختلفة من العقوبات ، بلغ أقصاها مصادرة أملاك رب العائلة الذى يقصر فى إرسال أولاده وبناته للمدارس ، لتتولى الحكومه من ناحيتها الصرف على تعليم الأولاد . جمعت إلى جانب ذلك برنامجا شاملا للتعليم ، برنامجا عمليا للنهضة بالحرف والمهن والفنون ، يساعد على إتقانها ورقيها بالتوريث فأجبرت ابن التاجر أن يتعلم العلوم الحسابية والتجارة ، وابن الفلاح أن يتعلم القراءة والزراعة وابن الجندى يتعلم الفنون الحربية ، وهكذا حتى تعم النهضة جميع النواحى ، وتزدهر جميع المهن ؛ ولا تتكون العصبية القومية إلا إذا عمل كل فرد وتعلم كيف يفخر بوطنه الصغير أو مهنته . كان هذا من ثلاثة آلاف عام أو أكثر .

لم أسرد هذه القصة لأقدم للقارئ مادة للتفاخر بما قام به أجدادنا الاقدمون . فكثرة التفاخر بما عمله الأقدمون سوف لاتعيى موتاهم بل تميت أحياءنا كما يقول المثل المعروف ان " التعلق بطرز الماضى والتغنى بها سوف لايزيد سطرا فى صفحة تاريخها الثقافى بل سيمحو سطورا من تاريخ عصرنا وثقافته " .

والآن لنرجع إلى ما قلنا نحن باعداده لمحاربة الأمية فى عصرنا الحديث وأى برامج وضعناها ؟ وعلى أى أساس درسناها ؟ وما هى ثمرتها الموجوة ؟ .

بدأنا بالتعليم الإلزامى أى إلزام الفلاح أن يتعلم . . إلزام الفلاح ترك فأسه وحقله لإبدالها بالقلم والورقة . . إلزامه بترك قريته وأرضه إلى المدينة . . لأن القرية ليست ميدانا للتعلم فكانت النتيجة التى لايمكن تجاهلها أن شلت اليد العاملة فى القرية ، واستدت إلى المدينة للبحث عن عمل بها . . ولما لم تجد عملا إمتدت لتزعزع الأمن .

. . وأكملنا التعليم الإلزامى بالتعليم المجانى ، وهو الخطوة الارتجالية الثانية ... إن لكل أرض بذورا . فاذا أردنا أن نجنى ثمرا يجب أن نختار البذور التى توافق طبيعة الأرض .

فالبذور التى تكون قد أثمرت فى أرض ربما لاتجنى منها فى أرض أخرى سوى أعشابا لافائدة منها . وما يصلح من برامج الإصلاح فى بلد قد لايصلح فى بلد آخر .

يجب أن نعرف معنى كلمة الأمية وموطنها قبل أن نضع برامج مكافحتها ومحوها — ليست الأمية هى جهل القراءة والكتابة فحسب ، بل الأمية هى الجهل من جميع نواحيه ، من معيشة ثقافية وصحية واقتصادية وتعليمية وتكوينية . . أى الجهل بمعنى الوجود .

إن محو الأمية معناه رفع مستوى القرية فى جميع تلك النواحى متوازية . . يجب أن يشمل كل كائن على أرض القرية : يشمل الرضيع والشيخ . . الرجل والمرأة . . الطفل واليانع . . البيت والأرض . . الحيوان والنبات .

إن تعليم الفلاح معناه أن نعلمه كيف يقدس وطنه الصغير الذى هو قريته ، وكيف يزداد تمسكا بها ولا يتأتى ذلك الا إذا أحس أنها تسايره فى نهضته — وأنها تنفض غبار الأمية معه جنبا إلى جنب — عندما يشعر أنها جزء منه لايتجزأ — عندما يشعر أنها تسابقه لتعمل على إسعاده كلما مد يده لإسعاده .

سوف لايهجرها إلى المدينة . . بل سيزداد بها تمسكا ، ويحاول أن ينافس بها المدينة كما هى الحال فى كثير من دول أوربا الزراعية كسويسرا وهولندا والسويد . وقد ناديت أكثر من مرة ، فى المؤتمرات وعلى صفحات الجرائد من عدة سنوات ، بضرورة وضع برامج لمحو الأمية يتفق مع ظروفنا التى تختلف عن ظروف جميع أمم العالم الأخرى التى نحاول تقليدها وارتجال برامجها .

فمحو الأمية علميا لايتأتى الا برفع مستوى القرية ككتلة واحدة ، هذا لايمكن تحقيقه الا بالتعاون الإصلاحى ، أى أن تشترك جميع الهيئات الخاصة بنواحى الاصلاح فى وضع برنامج مشترك يضم جميع النواحى الأمية من معيشية وثقافية وتعليمية وصحية وزراعية واقتصادية الخ ، تتعاون كلها متضامنة حتى لايقوى عضو ويبقى الآخر مشلولا فتعوق الجسم من الحركة — الحركة للخروج من ظلمات الأمية — تتعاون فى بناء " جامعة القرية " أى التى تجمع بين جميع نواحى الإصلاح مشتركة .

ولما كانت شركة وادى كوم أمبو التى تبلغ مساحة أراضيها ٧٠ ألف فدان فى مقدمة الشركات الزراعية التى بدأت فى وضع برامجها الانشائية والعمرانية لما بعد الحرب ، وهى التى أقوم بوضع برنامجها المعمارى ، فقد أتيحت لى الفرصة لاخراج مثل هذا البرنامج إلى حيز الوجود ، فشمل برنامج الإصلاح العمرانى إنشاء مجموعة من تلك " الجامعات القروية " موزعة على عدة مدن وقرى وضعت تصميمات أربعة منها موزعة على مدينة كوم امبو وقرى

السلسلة والسبيل والمنشية . وقد بدأ العمل فى العيف الماضى فى تنفيذ الأولى منها ، وقد أوشكت مبانيها على الانتهاء وقد افتتحت أبوابها منذ أسابيع .

أما رسالة تلك " الجامعة القروية الصغيرة " ، أو برنامج كفاحها لمحو الأمية ، فستتولى شرحه محتويات المدرسة نفسها كما هو مبين فى مسقط مدرسة كوم امبو التى تم تنفيذها والتى تحوى من المبانى والمشتملات ما يلى :

(١) فصول الدراسة — ويختلف عددها تبعا لعدد سكان المدينة أو القرية وسعة المدرسة. وفى حالة مدرسة كوم امبو فهى تحوى ثمانية فصول لكل منها فرانده أو حديقة صغيرة من الجازون تظللها شجرة من أشجار الجميز أو السرسوع حتى يمكن مباشرة التعليم فى الهواء الصحى الطلق كلما ساعدت الظروف الجوية على ذلك

وقد روعى فى بناء الفصول جميع الاشتراطات الصحية من تهوية طبيعية مستمرة و إضاءة صحية رغم كونها قد بنيت بمواد بناء القرية الأولية ، وقد أعدت ليتعلم فيها البنين والبنات مختلف المبادئ التعليمية الأولية من قراءة وكتابة وحساب وعلوم دينية واشتراطات صحية وأشغال يدوية مختلفة .

(٢) سوق النماذج — وهى مجموعة من حجرات الحرف النموذجية ، أو عبارة عن معرض دائم لتعليم الحرف العملية اللازمة للقرية والتى تتفق مع المنطقة وخاماتها الأولية ففى تلك المدرسة جمعت النماذج بين صناعة النسيج والسجاد وصناعات الجر وما يرتبط بها من الأثاث الريفى اللازم لبيت الفلاح والنجارة والحدادة وفن الخوط ثم صناعة الفخار والخزف القروى وما يتبعه من فنون زخرفية أولية — وكل حجرة من حجرات النماذج على شكل حانوت صغير به آلات الصناعة اللازمة وركن لتمرين الطلبة وفرانده مظللة للتمرين فى الهواء الطلق. وتبعا لميل الأطفال الطبيعى يمكن توجيههم نحو إحدى تلك الحرف — أما من ناحية المدرسون فقد وضع لهم برنامج عملى يعد الأول من نوعه فتدرس كل حرفة ستسند إلى صانعها فى القرية بعد أن تقوم الحكومة بارشاده إلى الطرق العلمية الصحيحة لممارسة الحرفة والتى من شأنها النهوض بها و يقوم كل صانع بعمله اليومى داخل سوق المدرسة كما يقوم كل منهم بعرض مصنوعاته الدقيقة فى سوق موسمى والذى سيتحول بالتدريج إلى أن يصبح عيدا قوميا لصناعات أهل القرية المحلية كما هو الحال فى كثير من بلدان أوروبا والتى يرحل أهل المدن والقرى المجاورة لزيادة القرية فى عيدها الصناعى وما يعود على القرى إقتصاديا و اجتماعيا من ذلك التبادل والتعاون .

(٣) المزرعة النموذجية والمعرض الزراعى — ومهمتها إرشاد الفلاح وتوجيهه فى مختلف أطوار سنه إلى كل ما فيه رفع مستواه الزراعى وزيادة مستوى أرضه الإنتاجى والسير بهما مع خطوات تطور العالم الزراعى ، فلا يقف الفلاح آلاف السنين لا يتحرك بجانب محراثه وشادوفه ، ويشقى ليشقى أرضه معه .

(٤) القسم البيطرى ومزرعة الدواجن : ويشمل هذا القسم كل مايختص بالإرشادات الصحية البيطرية وتربية المواشى والعناية بها ويحوى مجموعة من الزرائب النموذجية المختلفة والوحدات العلاجية البيطرية وكذلك حديقة أو مزرعة للدواجن بأنواعها وتربية النحل . وتربط القسمين ببعضهما قسم صناعة الألبان والجبن وكل مايرتبط بالدواجن والماشية من صناعات ريفية اقتصادية .

(٥) الوحدة الصحية : وهى وحدة علاجية عبارة عن عيادة خارجية ذات برنامج علاجى منتظم ، تقوم بعلاج أبناء القرية ومراقبتهم صحيا ثم تساهم فى نفس الوقت فى الإرشاد الصحى العملى لكل من المدرسة والندوة والقرية . كما أن بها نقطة صغيرة للاسعاف وأجزخانة وقسما لرعاية الطفل . وتقع ملاصقة لمدخل المدرسة وفى وضع مركزى بالنسبة لمبانى مساكن القريه . وتحوى الوحدة بجانب ناحيتها العلاجية مجموعة من الحمامات تقوم بدور صحى منظم لكل من سكان القرية من الطفل الرضيع الى الشيخ للرجال والنساء .

(٦) صالة الاجتماعات والاحتفالات : وهى أساس فى تثقيف رجال القرية وشيوخها ولذا فقد أعدت لتكون على شكل مقهى ريفى تسند إدارته الى صاحب مقهى القرية حتى يجتمع فيه القرويون على طبيعتهم عند الانتهاء من عملهم . وفى هذه الصالة (المقهى) سيستمع القرويون إلى الراديو الذى سيلعب دورا حيويا فى محو أميتهم ، بل يمكن عمل محطة خاصة للاذاعة تقوم بتلك الرسالة . وفى ذلك المقهى الذى به مسرح صغير يمكن إرشاد الفلاح علميا وعمليا وعرض الأفلام السينمائية . وقد اختير وضع المقهى ملاصقا للوحدة العلاجية كما أعدت لتستعمل فى نفس الوقت كمطعم شعبى فى حالات الطوارئ يخدم مطبخه كلا من المدرسة والمقهى .

(٧) الساحة الشعبية والملاعب : الدور الذى تلعبه الرياضة فى الثقافة ونهضة الشعوب دور لاحاجة لشرحه . وتشمل أنواع الألعاب الرياضية ما يوافق طبيعة القرية وجو موقعها .

بين جدران تلك " الجامعة الريفية " سيجد كل شخص فى القرية مكانه ، كل فى وقت فراغه ، ستدخل عائلة القرية بأكملها وما عندها من ماشية وطيور الى تلك الجامعة لتخرج منها وقد خلعت رداء أميتها متكاتفة .

يجب أن تجتمع تلك الوحدات مشتركة تحت سقف واحد ، أى يجب أن تتعاون جميع الهيئات التى ستحمل رسالة إصلاح الفلاح من وزارة المعارف إلى وزارة الصحة إلى وزارة الشؤون الإجتماعية إلى الشؤون القروية ، يجب أن تتعاون كلها على محو الأمية ووضع برنامجها . فكيف نعلم الفلاح التعاون وهو أهم ناحية من نواحى النهضة الثقافية والإقتصادية إذا كان

ذلك التعاون معدوما بين هيئات الإصلاح نفسها ، وتريد كل أن تعمل مستقلة ببرنامجها ومبانيها وجنودها واقتصادياتها ؟

وأخيرا تأتى الناحية الاقتصادية فى تحقيق مثل هذا البرنامج — فما لا شك فيه أن تعاون جميع الهيئات السابقة الذكر واشتراكها فى وضع برنامج واحد إنشائى وادارى سيوفر ما لا يقل عن ٤٠٪ من المجهودات والنفقات .

هذه إحدى ساقى المشروع والساق الأخرى هى الناحية الانشائية من حيث طريقة البناء التى سيخرج بها إلى حيز الوجود ، فكما أن تلك الجامعة ستساهم فى نهضة جميع مرافق حياة القرية فيجب أن تكون فى فن بنائها قدوة لساكن القرية ليتقدى بها فى مبانيه فطرازها هو طراز العصر الذى سيحسن الفلاح بضربات نبضه ، ومواد بنائها من المواد الأولية لبناء القرية والتى فى متناول يده — فاستعمل فى بناء مدرسة كوم امبو مثلا دبش المنطقة الجبلية المحيطة بالوادى والطوب التى فى بناء الحوائط وقباب الأسقف والعقود والقباوى الطوبية وأخشاب النخيل وجريدها والغاب وأخشاب الأشجار والتى أمكن منها مجتمعة بناء تلك المجموعة الفنية الزخرفية — كما ساهمت يد الطبيعة بما قدمته من أشجار ونبات وزهور وأبسطة من الحشائش الخضراء ساهمت فى استيفاء كثير من الاحتياجات والمطالب من عملية وزخرفية — وبذلك ضربت المبانى رقما قياسيا جديدا من حيث تكاليف الإنشاء والتى إذا أضيفت الى الاقتصاد فى الناحية الادارية السابق شرحها لامكن تحقيق ذلك البرنامج العملى فى محو الأمية .

سيد فهمى كريم

فى شريعة الوحش لا تتصافح الكفان ما دامت بينهما فريسة . . . ولكن الإنسان وحده هو الذى يستطيع أن يتصافح بيد و يلطم باليد الأخرى .

(الزيات)

المخترعات الحديثة فى خدمة المجتمع

لصاحب العزة الدكتور أحمد زكى بك
مدير عام مصلحة الكيمياء ورئيس المجمع العلمى

إن الذى ينظر فى القاموس يبحث عن لفظة اخترع يقرأ فيه اخترع الشىء أنشأه وابتدأه واخترع الله الكائنات ابتدعها من العدم . وهى كذلك فى العلم وإلى جانب اخترع توجد لفظة كشف واكتشف ومعناهما أظهر الشىء ورفع عنه ما يواريه و يغطيه . وكذلك هما فى العلم فالمكتشفات والكشوف والاكتشافات أشياء موجودة وحقائق قائمة ولكن العالم يكشفها من بعد احتجاب . مثال ذلك الهواء وهو أبسط الأشياء وأكثرها بداهة كان محجو با عنا حتى كشفه العلم . ولقد كان من احتجاب الهواء عنا أنه لم يكن له اسم باللغة العربية فهواء باللغة العربية معناها الخلاء والفراغ وما كانت تسمية الهواء هواء إلا بعد أن كشف العلم أن هذا الجو الذى نحيا فيه إنما هو ملىء بغازات لا نراها ولا نكاد نحسها ولكن لها وجود ولها وزن . فكشف الهواء كشف لا اختراع . والماء ليس بحاجة إلى اكتشاف ولكن الذى كان فى حاجة إلى اكتشاف أن الماء إذا سخن استحال إلى غاز آخر كالهواء . والذى كان فى حاجة إلى اكتشاف أن هذا الغاز ، هذا البخار له ضغط وأن هذا الضغط يزداد بالحرارة . فتلك حقائق وجدت مع وجود الانسان وجدت فى وعاء طبخه إذا طبخ . ووجدت فى باطن الأرض فأحدثت لنا الزلازل والبراكين . ولكنا عمينا عنها زمانا فكشفها العلم فهذا كشف لا اختراع . ولكنا بعد ذلك أردنا أن نستفيد من هذه الحقائق فحبسنا بخار الماء أغلياه فى وعاء محبوس وأخرجنا بخاره منه بقدر معلوم فخرج مضغوطا مندفعا يضرب إطار عجلة فأدارها ثم زدنا فى التطبيق حتى كانت القاطرة البخارية فهذا ليس كشفا أو اكتشافا إنه اختراع إنه ابتداع أنه تكوين شىء لم يكن كائنا .

فهذا هو الفرق بين الكشف والاختراع وهو الفرق بين الحقيقة المجردة والتطبيق وهو الفرق بين العلم البحت والعلم التطبيقى .

والاختراع قد يكون فى أيسر الأمور وقد يكون فى عظيمها فالمنفاخ اختراع بسيط ينتفع بحقيقة علمية بحتة واحدة هى أن الهواء إذا أقللت حجمه زدت ضغطه ولكن القاطرة

البخارية اختراع معقد فهى تشمل المئات من الحقائق وهى تأليف بين كثير من صفات الأشياء وقوانينها . هى ابتداع مركب عظيم .

فهـذه أول مسألة أردت إيضاحها إن الاختراع العلمى هو تطبيق الحقائق العلمية البحتة وقوانينها فيما ينفع المجتمع وقد يضره .

ولقـد ضربت لكم مثلا للمخترع بالمنفاخ وبنيته على قانون الهواء إن الهواء إذا أقللت حجمه زدت ضغطه . وكأنى بكم تتساولون فى نفس واحد إن هذا القانون حديث والمنفاخ قديم قديم . وهذا حق فالذى اخترع المنفاخ لم يبنه على العلم وهكذا أكثر الاختراعات القديمة فالعلم الحديث حديث عمره قرنان أو ثلاثة قرون . فالذى اخترع العجلة وهى أساس أكثر الآلات الحديثة والمكنات الحديثة رجل قديم أو رجال قدماء سبقوا العلم الحديث بقرون وهم لم يخترعوا العجلة لأنهم كانوا قد ألموا بقانون الاحتكاك الحديث . وكذلك مخترعو القوارب والسفن لم يعرفوا قانون الأجسام الطافية ولا قاعدة أرشميدس وهم أقدم من أرشميدس وأقدم من الاغريق فالاختراع قد لا يؤسس على العلم وقوانينه ولكن على ما يكتسب الانسان فى الحياة من خبرة بدائية ليس فيها دقة العلم ولا تعور العلم ولا تفتيقه ولا انضباطه .

ومن الاختراعات الحديثة شىء من هذا النوع ولكن الأكثرية الكبرى من مبتدعات العصور الحديثة مؤسسة على قواعد العلم مستقرة عليها . فالعلم أوجد هذه الألوف المؤلفة من المخترعات التى لولاه ما كانت بهذه السعة وهذا التعدد وهذا الاستيعاب . وحتى المخترعات القديمة لولا العلم ما تقدمت ولا تبدلت هذا التقدم السريع والتبدل الشامل . فأين عجلة فرعون من عجلة السيارة أو عجلة القاطرة وأين السفن الشراعية التى كانت تروح وتغدو بين الأغارقة وأرض الفراعنة من تلك التى تمخر البحار اليوم وتلف الأرض لفا فى بضعة أسابيع .

فهذه هى المسألة الثانيـة التى أردت ايضاحها . هى أن العـلم عمل فى كلا النوعين فى المخترعات الانسانية البدائية الأولية وفى المخترعات العلمية . فهو قد أوجد الثانية وهو قد حث الأولى حثاثة لولاها ما تقدمت ولا تفوقت .

إن العلم الحديث بتطبيقاته ومخترعاته متغلغل فى حياتنا الحاضرة تغلغلا بعيدا قد نحسه جميعا ولكن لا يدركه حق إدراكه إلا الفاحص المتقصى .

ولإدراكه طريقتان لو أذنتم سميت أولاهما بالطريقة التحليلية وسميت أخراهما بالطريقة التركيبية .

أما الطريقـة التحليلية فهى أن تأخذ الشىء الواحد من طعـام أو شراب أو ملبس أو مسكن أو مركوب أو حتى كتاب ثم تنظر كم من قواعد العلم فيـه وكم من المبتدعات وكم من المخترعات .

وبما أن اجتماعنا هذا ثقافى فلنضرب مثلا للطريقة التحليلية بالكتاب فهو الأداة الكبرى للثقافة الحديثة ولن نجد شيئا أوثق بالمجتمع المدنى من كتاب . والكتاب يتألف من ورق ومن حبر ومن آلة طابعة .

أما الورق فماذا أبدع المبتدع فيه وماذا اخترع ، إن الورق صفائح رقيقة من ألياف النبات كان أقدم من صنعه الصينيون ومن الصينيين انتشر فى بقاع الدنيا عن طريق العرب فالعرب كانوا فى سمرقند فى منتصف القرن الثامن من الميلاد فهاجمهم الصينيون فردهم العرب على أعقابهم وسلبوا منهم الأسلاب وأسروا الأسرا. وكانوا من هؤلاء الأسرى قوم من صناع الورق فاصطنعهم العرب فعلموهم تلك الصناعة وكانت من الكتان ثم انتقلت من الدولة العربية إلى دول أوربا بعد القرن العاشر الميلادى إلى الأسبان عن طريق المغرب وإلى إيطاليا عن طريق صقلية وما جاء القرن الخامس عشر على أوروبا حتى كان الورق يصنع فيها من الكتان ومن خرق الثياب وكان قبل ذلك يصنع فيها من جلود الحيوان واسمه الرق بالعربية أو parchment بالأوروبية . وبانتقال صناعة الورق من رق الحيوان إلى الكتان شاعت الكتابة بعض الشيوع ومشت فى أعقابها الثقافة بعض الشىء . ولكن حد منها أن الرق محدود والكتان غير كثير ثم جاء القرن التاسع عشر وجاء منه عام ١٨٨٠ وهو فى مصر عصر توفيق فاخترع المخترعون فى الغرب طريقة يستخلصون بها من الخشب مادة تصلح لصناعة الورق هى مادة السليولوز وهى مادة الكتان وهى مادة القطن . ومنذ هذا التاريخ صار الورق يصنع أيضا من الأخشاب . والخشب فى بقاع الأرض مقدر هائلة فى غابات لا تحصى فى مناطق الاستواء حيث تكاد تخترق الأرض وفى مناطق الشمال حيث يتجمد الماء وهو مع انتشاره رخيص الثمن فصار من ذلك أن انتشر الورق الخشبى انتشارا هائلا . ففى عام ١٩٣٠ بلغ الخشب الذى صنعوه ورقا أربعين مليون طن أخرجت خمسة عشر مليون طن . وبانتشار الورق الخشبى انتشرت الصحف وانتشرت الكتب . كانت الصحف فى القرن الماضى فى أوروبا تطبع بالألوف عشرة أو عشرين ألفا فصارت فى هذا القرن تطبع بالملايين وكذلك كانت الكتب وكذلك صارت . وفى أعقاب هذا الورق الخشبى المكتوب مشى التعليم ومشت الثقافة وانتشرا حيثما انتشر الورق الخشبى . وفى أعقاب التعليم وأعقاب الثقافة مشت الديمقراطية وذاعت فى جهات الكون الأربع . ولسنا نبعد ولسنا نغالى إذا قلنا ان الثقافات الشعبية وأن الديمقراطيات الحديثة إنما هى من خلق هذا المخلوق الحديث هذا الورق الخشبى الذى اخترع عام ١٨٨٠ ولو أن جمادا يذكر مولده ويحتفل بمولده لاحتفلنا بذكرى هذا العام مولدا للثقافات الشعبية ومبعثا للديمقراطية .

فهذا هو الورق فماذا فى الكتاب بعد الورق ، الحبر حبر المطابع لا حبر المكاتب وهذا احتاج المخترع أن يخترعه ليلائم حروف الطبع وهى من معدن ويلائم سرعة الطبع وهى سرعة فائقة . فحروف الطبع صغيرة متقاربة الأجزاء متقاربة البناء فوجب على الحبر أن لا يسيح

فيصل ما بينها والحبر تعطيه إلى الورق حروف من معدن. فهي تنضغط على الورق ثم تنفلت وهي عند انفلاتها يجب عليها أن تخلص خلوصا نظيفا فلا تترك الحرف المطبوع مبهمة حدوده والنسخ المطبوعة يتراكم بعضها فوق بعض فوجب على الحبر أن يجف سريعا . ووجب على العلم أن يخترع حبرا هذه صفاته فكان ثم تعددت ألوان الحبر من أسود إلى أحمر إلى أخضر إلى أصفر الى ألوان أخرى شتيتة عديدة لم يكن يعرفها أجدادنا وهي من أبداع العلم وخلق الإنسان . وهي ألوان خرجت بالكتب الأوروبية والمجلات الأوروبية لا سيما الأميركية من ذلك الثوب القديم الرزين وهو من سواد في بياض إلى ذلك الثوب المزركش الملون الذي كأنما قد صنعوه من قوس قزح فخرجت به الكتب عرائس من عرائس الفنون . فهذا عن الاحبار والاوراق فما بال المطابع والطباعة .

اخترعت هذه الصناعة في منتصف القرن الخامس عشر أي منذ خمسة قرون . ولم تكن قبل ذلك تعرف الطباعة حروفا يضم بعضها الى بعض . أما مخترعها فهو على الأشهر

كان هـذا حول عام ١٤٤٩ وكان ذلك بإحدى مدن ألمانيا وهي مدينة صغيرة على نهر الرين على مقربة من فرنكفورت ولم يكن لدى المخترع مال فاستعان برجل من ذوي المال في المدينة . وظل هذا المخترع الجديد هذه الأداة الأولى للطباعة التي عرفتها الدنيا ظلت تجاهد قرنا كاملا لتغزو أوروبا . ولم تكن تغزو هذه الأمم بالمئات بل بالوحدات فأنت تستطيع أن تتصور من هذه الظروف على أي حال من البساطة كانت الطباعة والمطابع منذ أربعة من القرون ثم منذ ثلاثة ثم منذ قرنين وقارن ما تتخيله من ذلك بما ترى من مطابع اليوم لا في مصر ولكن في أوروبا حيث المطابع مصانع لها دقتها ولها سرعتها ولها عظمتها .

أما صف الحروف فلم يعد اليوم بأوروبا ما هو في أكثر مطابع مصر صفا باليد والعين حرفا بعد حرف على خشبة سطرا سطرا ولكنه صف بالآلة الكاتبة يجلس إليها الجالس فكأنما يكتب خطابا . وهي مكنات أشتات يختلف باختلافها ما يأتي بعدها من خطوات . ولكن يكفيك أن تعلم أن الحروف تنصب من بعد ذلك صبا وفقا لما كتبت الآلة الكاتبة فالمطابع صارت مسابك أيضا .

أما مكنات الطباعة فصارت شيئا هائلا . اسطوانة عظيمة من فوقها ثانية ومن فوقها ثالثة ومن فوقها رابعة فسابعة فعاشرة تدور كلها بالحروف السوداء وتدور أخرى معها بالورق صفحات بيضاء وبقدرة قادر يلتقي الاثنان فيكون انطباع .

ولما كان هذا العصر عصر السرعة لا سيما فيما يختص بالصحف لم تكفهم هذه المطابع على ضخامتها فجمعوا بين المطبعتين منها والثلاث وجعلوها طبقات بعضها فوق بعض وربطوا بعضها ببعض فكأنت مطبعة واحدة هائلة يدخلها الورق كلا ملفوفة في أعلاها ثم يخدر معها حتى يخرج عند أسفلها صحيفة كاملة قد تم التصاقها وتم انطراؤها كالتي يشتريها المرء في الطريق .

ومن المطابع اليوم ما يطبع الصحف ست صفحات وعشر صفحات إلى اثنين وثلاثين صفحة دفعة واحدة وهى تطبع فى الساعة الواحدة نحوا من ١٠٠,٠٠٠ نسخة من الصحف ذوات الصفحات الثمانية .

ومن هذه المطابع مالا يقتصر على الأسود من المداد فمنها ما يطبع بضعة من الألوان مرة واحدة .

فهذه مطابع الصحف عرفتم كيف يكون اقتصاد الزمن فيها . والصحف تعيش بالزمن وعلى الزمن لأنها تعيش على الأخبار فهى لا بد أن تلحق بآخرها وهى تطبع من النسخ فى أوروبا الملايين فى بضع ساعات . فتصور حال أكثر مطابعنا التى نعهدها لو كلفت طبع مليون واحد . أنه لم يخرج قبل شهر وشهور وعندها يكون الخبر الطازج قد أنتن .

وإلى جانب الصحف الكتب وأريد أن أشير خاصة إلى تلك الكتب الصغيرة الرخيصة التى شاعت فى الدنيا قبل الحرب وفى الحرب سلاسل من كل صنف كال penguim والـ pelical وكثير غيرها وهى سلاسل رحبت بها كل أمة ورحبت لا لأنها تحمل أشتات العلوم وضروب العرفان بين أغلفتها فحسب ولكن لأنها المحاولات الأخيرة الصادقة الناجحة فى جعل العلم والعرفان شعبيا جمهوريا فهذه الكتب كان انتشارها بسبب رخصها وكان رخصها بسبب رخص ورقها وهو من الخشب ورخص طبعها وبالآلاف المؤلفة التى تطبع منها . أما مطابعها فأحدث مطابع ست مكنات دورات تحمل كل منها ستة وتسعين صفحة يدخلها الورق شريطا واحدا فينقل بينها متسلسلا ثم يخرج منها إلى مكنات متصلة تطويه وتقطعه وتشبكه فلا نراه فى آخرها إلا كتابا ذا ٥٧٦ صفحة وتخرج منه الألوف فى نصف ساعة .

أيها الإخوان هذا هو الكتاب اتخذناه مثلا لإيضاح الطريقة التحليلية نتعرف بها كم فى أشياء المجتمع من علم ومن اختراع .

والآن إلى الطريقة التركيبية نجرى فيها وراء البدعة البسيطة الواحدة والحقيقة العلمية الواحدة أو العلم الواحد لنراه ونراها فى أى أشياء المجتمع استقرت وبأى أغراض المجتمع وفت ولنبدأ بالكيمياء علما نقيس منه الأمثال .

فى بدء القرن الماضى كان الفحم المجرى يسخن فى أوعية مغلقة فيخرج منه غاز يستضىء به الناس هو غاز الاستصباح وكان هذا الغاز يحمل فى اسطوانات ، وكان يخلف فى قاع هذا الاسطوان بعد فراغه من غازه سائل غريب لم يدر أحد من كنهه شيئا . فكان أن أخذه العالم المعروف فردا أى عام ١٨٢٥ وفحصه وقطره واستخلص منه سائلا شفافا كالماء فهذا السائل هو أهم مركب فى الكيمياء . بل هو أبو الكيمياء الحديثة إنه البنزين ولا تزال تحفظ منه العينة التى قطرها فردای فى لندن إلى يومنا هذا وهو ليس بنزين السيارات بل بنزين الفحم

أخذ الكيماويون يلعبون بهذا البترين بالاحماض و بغير الاحماض فأخرجوا له مشتقات وأخرجوا لها مشتقات أخرجوا منها مشتقات حتى بلغت المشتقات بعد قرن من الزمان مئات الألوف فهل تدرون أى شيء تضمنت ؟ أولا أشياء تصنعها الطبيعة فى نباتها وفى حيوانها وهذا هو النذر القليل وتضمنت أكثر من ذلك كثيرا مركبات لم تطلع عليها الشمس أبدا وهى كلها مبتدعة مخترعة ومن تلك المركبات مانفع المجتمع ومنها مالم ينفعه إلا استنارة وعرفانا ومنها مالا ينفعه اليوم وقد ينفعه غدا . فما نفع المجتمع منها تلك الاصباغ الشتيتة العديدة التى صارت علما على هذا الزمان . وهى اصباغ بلغت الألوف قليل منها ما تصنعه الطبيعة كالنيلة وأكثرها مالا سبيل للطبيعة اليه . وهى أصباغ ناقت بازهار ألوانها و بجمالها ما فى الطبيعة من زهو و جمال وهى تصبغ الصوف وتصبغ القطن وتصبغ الوجوه والشفاة وتصبغ الحبر وتصبغ الطعام .

ومن تلك المركبات تلك العقاقير الحديثة الكثيرة التى تخرجها المصانع فتشتقها من البترين أو مشتقاته ومنها الأدوية الحديثة للملاريا من اترين و بلازموكين ومنها أدوية النيومونيا أو ذات الصدر كالسلفانيد ومشتقاته السيازول وأحزابه . ومن هذه العقاقير الاسبيرين وهى كلها عقارات شاعت وذاعت فغلبت ما كان أعطانا أياه النبات من أعشاب وعقاقير .

و بذكر الدواء نخص بالذكر من مركبات الكيمياء عامة تلك الطائفة المصنوعة التى تذهب بآلام الإنسان عند الوضع وفى حجرة الجراح وتلك الطائفة الأخرى التى تعرف بالمطهرات والمعقمات وهى التى يدفع بها الإنسان عن نفسه غائلة تلك المخلوقات الصغار الدقاق تلك المكروبات التى خلقها الله للإنسان امتحانا و إدكارا . ثم تلك الطائفة الأخرى طائفة السموم التى تقتل الحشر فيدفع الإنسان بها عن نفسه و يدفع عن زرعه . والحشرات أعدى للإنسان من المكروبات و يتنبأ المتشائمون بأنها سترث الأرض ومن عليها . و بذكر المزروعات نذكر المحصبات الأسمدة لاسيما تلك الأسمدة الأزوتية الصناعية التى اصطنعوها من الهواء فعليها عماد الزراعة وعليها عماد المستقبل فى مصر او هى بعض عمده .

و بذكر هذه العقاقير الشافية و بذكر هذه السموم القاتلة لابد من ذكر ثلاث مواد نشأت فى هذه الحرب الحاضرة . سيكون لها خطر فى مستقبل الزمان .

أما الأول فالينسلين وهو اكتشاف لااختراع ولكنه عن قريب سيكون اختراعا وسيكون كذلك عندما يدقونه ويحطمونه ومن حطامه يعرفون تركيبه ومن تركيبه يأخذون مايبنونه من عناصره أو أشباه عناصره .

كما تبنى البيت من حجره وملاطه . وحينئذ لا نحتاج إلى القطر الذى يصنعه وعندئذ نحضره بالمقادير التى نهوى كما نحضر الاسبيرين والبنسلين على ما بالغوا فى أوصافه بقيت له فى الشفاء بقية ثابتة صادقة من هذه الأوصاف تجعله سيد العقاقير فى مغالبة الأدواء . وكفاه تسويدا أنه يذهب بهذا الداء القذر داء السيلان من الانسان فى بضع ساعات .

أما المادة الثانية التى ظهرت فى هذه الحرب فقد أسميتها الديدى وهى تعرف نسبة الى تركيبها وهى تقتل الحشرات قتلا ذريعا وهى قد أبدعت ابداعا فلم يكن فى الطبيعة ولا فى الزمان وجود . وهى تقتل القمل البيت لنا فى مصر منها أطنان وأطنان وسيكون لنا منها بعد الحرب أطنان وأطنان وهى إذ تقتل القمل تمنع التيفوس أن ينتشر فمعنى أن يكون . وقد أمحى التيفوس من نابل فى ايطاليا فى العام الماضى وقد كاد تفشى فيها وأمحى فى أيام والديدى يقتل الحشرات فى المنازل فقد جاء أخيرا أنهم رشوه بعد أن أذابوه فى سائل خاص يذوب فيه فلصق غبار منه فى الحيطان فمنعها أن تحيى عليها حشرة نصف عام . ومن الحشرات البق وخطره فى مصر معروف معلوم .

أما المادة الثالثة فلم يبوحوا باسمها . ولكنا علمنا منذ أسبوع أنها تقتل الجراد فى مبادئه فتهلكه وشيكا . فإن صح هذا زال خطر كبير يهدد الشرق منذ القدم فى حياته بتهديده فى طعامه .

فهذه الكيمياء لم نذكر منها الا ما خص الانسان فى شخصه من قريب ، بقى جانب آخر أعظم تعمل فيه المخترعات الكيمياوية عملها ذلك جانب الصناعة وهو واسع متنوع لا يجمعه حصر واذا عز الحصر وضاق الزمن فالخبر فى التنويت .

إلا أننا لا نستطيع أن نفوت حديثين كبيرين كلاهما ابتداع حديث أثرا فى هذه الحرب تأثيرا بالغا أولهما البترين الذى اصطنعوه من الفحم بتقطيره وهو القائم الآن يحفظ على الألمان رمقهم الأخير وهو الذى لولاه لعجز الألمان وألقوا بالسلاح منذ حين . وثانيهما المطاط الصناعى فهو الذى اصطنعته أمريكا وتصنعه اليوم من الكحول ومن أشباهه ، وفرق بين الكحول السائل الذى نحرق والمطاط الصلب الذى نركب ولكن هكذا شاءت الكيمياء وشاءت حيلة الإنسان فى الاختراع والابتداع أن يكون هذا من هذا وهو مطاط فاق المطاط الطبيعى فى خواصه وهى خواص يشكلها الإنسان بما لم يستطع أن يشكل بمثلها مطاط الشجر .

وإلى هنا نقف بالكيمياء .

والآن فلننتقل إلى علم الطبيعة علما نقتبس منه الأمثل :

والطبيعة أو الفزياء على ما يسمونها اخواننا العراقيون أو الفسيزيق على ما أسماها الأغريقيون هى علم المواد الجامدة وعلم القوى . وهى من حيث أنها اختراعات ومن حيث صلتها بالمجتمع وخدمتها إياه تسمى علم الهندسة . وإذا قلنا الهندسة قلنا الصناعة . والحق أن الصناعة الحديثة فى قيامها ومشيها فى الحياة هى مثل ومثلك تدب على رجلين إحداهما الكيمياء ، وأما الأخرى فالطبيعة مطبقة أى علم الهندسة . وإذا نحن ذكرنا الصناعة الحديثة فقد ذكرنا السمة الكبرى التى اتسم بها العصر الحاضر فميزته عن سائر العصور . فأى المواد اخترعتها الطبيعة والهندسة وأى القوى ؟

أما المواد فستقول الحديد الفولاذ والنحاس والقصدير والنيكل وسائر المعادن وسائر ما ينشأ عن هذه من أخلاط سبائك . وستقول أنها مبتدعات قديمة وهذا حق ولكن كذلك حق أنها لم تكن تصنع بالطرق الحاضرة ولم يكن لها هذا التنوع الحالى لا سيما فى الحديد وشتى سبائكه وشتى خواصه فهذه كلها جديدة مبتكرة . والكروم والمنجنيز معدنان لم يمض على ميلادهما فى هذه الحياة الدنيا أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان وهما بمزجهما بالحديد يخرجان فولاذا له من المقاومة وغير المقاومة خواص لم يحلم بها عالم قديم . وقد عهدنا الحديد يصدأ وكذلك عهده القدماء ولكنه صار اليوم لا يصدأ إذا داخله شيء من الفحم وشيء من الكروم وبلغ اليوم هذا المخلوق الجديد أيدى الجمهور على موائدهم ثمنه تصنع السكاكين التى لا ينالها الصدأ أبدا .

ومن المواد المخترعة التى لها خطرها فى العصر الحديث الأسمنت وإذا أضفت له أعوادا من حديد صار مسلحا . والأسمنت المسلح لم يمض على اختراعه وشيوعه أكثر من ربع قرن من الزمان وهو أصل هذه العمائر الكثيرة الرفيعة التى انتشرت حينما انتشر العلم وأفاد الناس من تطبيقاته . واليوم يحدثوننا عن بيوت ستكون غدا فيكون هيكلها العظمى من حديد وقد تكون أيضا حيطانه من حديد .

ومن المواد التى لها اليوم خطر صغير وغدا خطر كبير تلك المواد الجديدة التى تشبه فى أعيننا الطبخ وماهى من طبخ ومن أشهرها البيكاليت والجلاليت وتراهما اليوم فى الأسواق أطباقا وطقاطيق ومن خواصها الخفة والمتانة وأنها على نقيض الصينى لا تكسر كسرا سهلا ولكنها فى غير الأطباق ستستخدم فى المنازل وغير المنازل بعد الحرب حتى لقالوا أن أجسام السيارات ستكون منها وأن من أثاث البيت ما سيكون منها . وستعجب إذ تعلم أن الجلاليت يصنع من الجبن القريش وأن البكاليت يصنع من حامض الفينيك . فهذه المواد فما بال القوى .

وتتلخص القوى فى قوة البخار وهذا مولدها القرن الثامن عشر . ومنها كانت بوابير الأرض وبوابير البحر وأساطيل البحار وتلك البوابير القعيدة العجزاء التى تدور فى المصانع فتعطيها الحركة والدوران .

والقوة الثانية قوة تنشأ من الحاب شيء من غاز ملتهب وشيء من الهواء فى وعاء فيلتهب الغاز نفسه وما النفس إلا الحركة لو ضبطت ووجهت لأدارت تلك العجلات فكانت مصدر القوة والحركة معا . وكان مولد هذه القوة فى القرن الماضى القرن التاسع عشر . بدأوها باستخدام غاز الاستصباح وأجزائه . ثم ثنوا بالزيوت الثقيلة كزيت الديزل وأشباهه ومكنة الديزل تدار هكذا بالزيت الثقيل . ثم فى ختام ذلك القرن فى حياة أكثرنا وفى بدء هذا القرن فى حياة الأكثر منا استخدم الزيت الخفيف أى البنزين فكان هذا التقدم المريع فى السيارات والطيارات والدبابات . فانظروا كيف قلبت هذه المخترعات المجتمعات الانسانية

رأسا على عقب . والآن تطلع علينا هـذه الحرب بنوع جديد من فرقعة للغاز أو الزيت إذ يحترق و بتصميم جديد كل الجدة للـ كينات يجعل الأشياء تسير بسرعة فوق سرعة الصوت فقد سمعتم عن القنابل الطائرة وسمعتم عن الصواريخ وعن السلاح السرى رقم ٧ ، فكل هذه إنذارات وارهاصات بالذى سيكون ، ولا بد هو كائن بعد هذه الحرب الطاحنة . التى تطحن بالعلم وللعلم على السواء .

ثم القوة الثالثة وهى قوة الكهرباء ، وما الكهرباء إلا القوة الكامنة فى الفحم سيلوها ثم أجروها فى الأسلاك. وتعلمون حضراتكم أى انقلاب أحدثت الكهرباء فى المجتمع وفى البيت وفى السـوق و بالتليفون و بالتلغراف وفى المكنات جميعا فالكهرباء تفرقع فيها الغاز والبنزين وشىء آخر خفى على أكثرنا — ذلك عملها فى المصانع وهو شتيت عديد .

والآن إلى علوم الأحياء .

وهى تتضمن علم النبات وعلم الحيوان ومنها علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء . ولا شك ينطوى تحتها عند التطبيق علم الطب بأبوابه وفصوله .

و يؤسفنى أن أقول إن المدنية الحاضرة والمجتمع المدنى الحاضر كان بناؤه فى الكثير الأكثر على علوم الجماد من كيمياء وطبيعة وهندسـة وفى القليل الأقل على علوم الأحياء . وتلك خسارة كبرى لبنى الانسان والذى لا يقول هذا معى يكفيه أن ينظر ساعة فى الطب ليقول هذا معى. إن الطب اليوم فى الكثير لأكثر أدوية لا يؤمن بها حتى واصفوها أنها أدوية لتخفيف الآلام ولكسر حدة لأعراض فى الأمراض لا لإزالة جوهر الداء ذلك لأنه جوهره غير مفهوم . إن تعسر هضمك فالكربونات أو لا تأكل هذا ولا تأكل ذاك و إن ساءت أمعاؤك فالبزموت والبـارافين ، و إن توجعت كليتاك فالدفء و إياك واللحوم وان اضطرب قلبك فالكف عن الحركة وعن المشى وحتى عن التفكير أى مت قبل أن يأتيك الموت صريحا .

والزراعة ماذا صنعت علوم الأحياء لها صنعت قليلا وتركت كثيرا .

لقد تنبه العالم أخيرا إلى هذا التقصير الذى كان فى علوم الأحياء فقام العلماء يؤسسون العلم فى هذه الناحية على قواعد جديدة قاموا فى الولايات المتحدة وقاموا فى انجلترا وفى ألمـانيا وفى غير هؤلاء ولكن النهضة الكبرى قامت فى روسيا على مثال ليس له نظير وهى نهضة متحررة من روابط الماضى فلم تتعثر بقيوده . وقد قرأت للنهضة البيولوجية الروسية الحاضرة فقرأت كثيرا وأعجبت بكثرة معاهدهم فهى بالمئات وكثرة أبحاثهم فهى بالألوف وكثرة ما جمعوا وما استنبتوا من صنوف النباتات والمزروعات فهى بالملايين ، وأعجبت بالطريقة فهى الطريقة الجديدة التجريبية لا الطريقة القـديمة الوصفية التقليدية . وهم يستنبتون الزرع الذى يلتئم وأجواءهم وهى باردة و يتفق وأرضهم و يقوى على احتمال أمراضهم ، وما صنعوه أنهم زرعوا بـ

المزروعات فى مناطق الثلوج ، فهم يستنبتونها فى الماء أولا فى المحاضن الدافئة فإذا نمت وقويت واشتدت حرجوا بها إلى قسوة الأرض فاحتملتها كما يحتمل الشباب .

ومما صنعوا أنهم لقحوا إناث الحيوان فى غيبة الذكور ، إننا فى عصر تأتى بالنحل المختار إلى الأنثى ولكن الفحول المختارة قليلة وحاجتها إلى الإناث فى بقاع الدولة لا سيما إذا ترامت أطرافها كما ترامت الاطراف فى روسيا ذو كلفة ثقيلة ، إذن لا تحمل النحل ولا تحمل مادته نتصرها من النحل اعتصارا و إذن تحتفظ بها حية فى أنابيب وإذن نرسلها حتى بالبريد إلى حيث نشاء من أطراف البلاد وهناك يكون اللقاح ويكون الانتاج وتكون الولادة وتكون لأخلاف و فى أخلاف لا تحمل قوة ولا تقل رصانة عن أخلاف ينتجها النحل لو أنه استطاع فتكرم فانتقل يؤدى رسالته بنفسه .

فهذا أيها الاخوان ذكر حادث مجمل عابر خاطف لبعض ما اخترع العلم الحديث و بعض ما انتفع المجتمع من ذلك .

ولكن العلم يتهم اتهاما خطيرا وفيم يتهم وبم يتهم ، يتهم بنفس هذه المخترعات وفيها .

فأول اتهام أنه اخترع المكنات فعطل الأيدى العاملة مكان التعطل وأصاب التعطل الملايين فى الأمم الصناعيه حتى صار التعطل خطرا على المجتمع ذاته وقد أريد نفعه بالعلم . والذين يشكون من التعطل لا يشكون بالطبع من الفراغ لذى يكون بالتعطل فالفراغ محبب الى النفس وهو نافع لها للتربى والتثقف ولغذاء الروح من بعد غذاء البدن والفراغ أصبح بعضه اليوم حقا يطالب به العمال . وانما الذى يشكوه المتعطل فراغ اليد وجفاف الرزق والحاجة الى الطعام والثياب والوفاء . وانى لأعجب وكل متأمل يعجب لمخلوقات سخرها العلم وسخرها الله كما سخر من قبل البغال والحمير لتعمل للانسان بعض عمله وتحمل عن الانسان بعض أثقاله ثم يشكو الانسان بعد ذلك منها ثم انه يشكو الفقر خاصة .

أرأيت لو بعثت إلى قرية مائة ثور ثم جاءك بعدها أهلها يشكون التعطل و يشكون الفقر فماذا تظن وكيف تحسب تسأل لا شك أين ذهب الخير الذى جاءت به الثيران المائة ومن أخذه وستعلم أنه أخذه نفر قليل من أهل القرية هم أصحاب الثيران وهم لا شك ملاك الأرض فأقاموا الثيران على أرضهم تحرثها بعد أن كانت تحرثها بالأيدى الناس فتعطل من هؤلاء من تعطل فحرم الطعام . إن ثروة القرية فى مجموعها على أسوأ فرض بقيت على حالها وهى على التحقيق زادت بالثيران المائة ومع هذا حرم ناس بالتعطل فأين ذهب نصيبهم من تلك الثروة إن كانت بقيت على حالها . ثم أين ذهب نصيبهم من أصل تلك الثروة ثم من زيادتها إن كانت قد زادت . ذهب بالطبع الى من استحوذ على الثيران . وتطلب الى اصحاب الثيران أن يتنازلوا عن بعض ما أصابهم فيدفعون بحقوق المال . وتطلب الى المتعطلين أن يصبروا على ما نابهم فيدفعون بحقوق الانسان . ويقوم بين الطائفتين هذه

القليلة وهذه الكثيرة ، مثل هذا الصراع الدائم القائم اليوم فى الأمم الصناعية جميعا منذ دخلها العلم ودخلتها مخترعاته .

وهو صراع اقتصادى لا يمكن أن تلام فيه المخترعات أبدا كما لا يمكن أن تلام فيه الثيران بالقرنه وما يلام فيه طبيعة البشر جودها وأنانيتها فالمتقدمة تلك الأنانية نشأت الاشتراكية. والاشتراكية لم توجد إلا حيث وجدت الصناعة وهى وجدت بوجودها . والأمم الصناعية سائرة حتما الى الاشتراكية حلا للتعطل فالفقر فذلة الانسان وهوانه . وهى سائرة الى اشتراكية كائنة ما كانت معتدلة كما هى فى انجلترا أو متطرفة كما هى فى روسيا .

على أنه ليس فى طبيعة مسلم ولا فى طبيعة مخترعاته أن تؤدى الى تعطل الناس أبدا . فالمخترعات تؤدى الى صناعات والصناعات تؤدى الى استخدام الناس لا الى تعطلهم . والصناعات كانت قديما قاصرة فى عمومها على إنتاج الضرورى لحياة الرجل ولكنها اليوم تعمل على رفاهيته وتزيد فى حاجاته . فحاجات رجل القرن العشرين غير حاجات رجل القرن التاسع عشر وحاجات رجل القرن التاسع عشر أكثر من حاجات رجل القرن الثامن عشر . وبازدياد الحاجات تزيد الصناعات وتزيد أعداد عمالها . فهى الى التشغيل سائرة لا الى التعطيل . وانما يحدث التعطل من أسباب كثيرة أخرى لا تتصل بالمخترعات إلا فى القليل النادر . كأن يخرج مخترع جديد فيطل مخترعا قديما وإنما أسباب التعطل يحدثها الانسان فى ركود تجارة أو تهيج دعوى الجمهور تجاه صنف من بضاعة أو وضع ضريبة غير محكمة أو ارتفاع فى سعر عملة أى يحدثها فى العلاقات الجديدة التى تنشأ لها التجارة بسبب هذه النظم الرأسمالية المتطرفة التى يقول فيها كل صاحب تجارة وكل صاحب صناعة لى ولى وحدى ثم على الدنيا العفاء .

إن الكثير من أرباب الصناعات يتكون من تقدم العلم السريع الذى يلاحقهم ويروعهم ولا يترك لهم فترة للسكون والركود وكثيرا ما يرون اختراعا جديدا كاد يبزغ فى الأفق أو هو قد بزغ فعلا فأسرع ما يسرعون اليه فيشترونه . يشترون حق الانتفاع به وحق انتفاع المجتمع به ثم هم بعد ذلك لا ينتفعون به ولا ينفعون لانهم إنما اشتروه ليعطلوه لان فى تعطيله حماية للانتاج الذى ينتجونه أو حمية لأسلوب الانتاج الذى عليه يدرجون . وإذا قيل لهم فى ذلك دفعوا بأنهم لا يحمون إلا ناحيتهم فحسب ولا رأسمالهم فحسب ولكن يحمون عمالهم أن تتعطل وهذا حق ويقف عمالهم الى جانبهم لأنه الحق الظاهر ولكنه حق فقط فى النظام الفردى الحاضر . ولكنه غير حق فى نظام صناعى جماعى واجب الوجود وواجب النفاذ نظام يسيطر على الصناعات جميعا ويحرص على الصالح جميعا فيشرف فيما يشرف على إخراج مال من الصناعة قديم وإدخال قشيب فى الصناعة جديد ثم هو يحتمل خسائر الاخراج ويجنى مكاسب الإدخال ويقيم موجب هذا الى جانب ذلك فيخرج لى رقم موجب وكسب محقق هو كسب لصاحب المال وكسب للعمل وكسب للصناعة عامة وكسب للمجتمع وكسب للانسان والانسانية جميعا .

وتهمة أخرى يتهم بها التقدم العلمى والاختراعات أنها تؤدى الى زيادة الانتاج زيادة تغص بها الأسواق والى زيادة المحاصيل زيادة تعجز عن امتصاصها المجتمعات .

وهذا حق فالعلم يسهل زيادة الانتاج وزيادة المحاصيل فهذا واجب العلم وواجب الاختراع وحقا ان المحاصيل لتزيد ما هبط من الأسعار . وهبوط الأسعار فيه خير المجتمع . وفى الأزمة العالمية أزمة عام ١٩٣٠ فما بعدها رأينا البرازيل قد زادها محصولها من البن زيادة أراعتها فعمدت الى احراقه حفظا للأسعار أن تهبط فيحل بأصحاب المحصول الدمار وهو دمار محقق لا شك فيه .

وهذه حال من أعجب ما رأت الدنيا خير كثير وعوز كثير ولا يستطيع أحد أن يوصل هذا الخير الفائض الى الأيدى التى تعوزه فهل يلام العلم على إنه سهل السبيل إلى هذا الخير الكثير أم تلام النظم الاقتصادية والنظم الاجتماعية التى تقصير باع الفقير .

إننا لا نطلب للفقير صدقة . إن الرجل الغريب يدخل البلد الغريب بجواز سفر هو كل ما يؤهله للحقوق المدنية والحماية القانونية . والفقير كالغنى يدخل الى الدنيا بجواز هو الأذرع الشداد والذهن الوقاد هى كل ما أهلته به الطبيعة للحياة للعمل للرزق الحلال . فالمجتمع الذى لا يقبل هذا مؤهلا مجتمع فيه جور وفيه ظلم وفيه فساد .

وتهمة ثالثة يتهم بها العلم و يتهم بها فى اختراعاته وفى فتوحاته انه يفتح أبوابا يستفيد منها مدبرو الحروب فيبرونها فتنزل بالمجتمعات الخراب والدمار .

أما الخراب فينزل لا محالة وأما أنه ينزل بما اخترع العلم وما دبر فهذا أيضا لا شك فيه. ولكن ما حيلة العلم فى هذا . ان العالم البحث يبحث عن الحقيقة بحثة مجردة لا يقصد بها الخير ولا يقصد الشر و إنما هو يشبع رغبته فى الكشف ويعطى للناس غذاء للروح يفتح للفلسفة أبوابها للفكر وتفهم أصل الوجود وغاياته ثم يأتى من بعد العالم البحت العالم التطبيق فينتفع بهذه الحقائق المجردة لنفع الناس ونفع المجتمع ثم يأتى بعد هذا وهذا الرجل الاقتصادى والرجل السياسى ثم يأخذان فى الافادة بكل هذا لدمار الانسان. ومن يسند رجال الاقتصاد، انها الشعوب. ومن يرفع الساسة إلى مراكز السلطة، انها الشعوب . فالشعوب هى المسؤولة أولا وآخرا عن تحوير العلم وتدويره ليكون شرا وهو لم يرد منه العلماء الا أن يكون خيرا .

ان العلم نفاع ضرار ولكن كذلك كل الأشياء . ان الماء تشربه فترتوى ولكن قد يغص به الشارب ثم لا لوم بعد ذلك على الماء. والسكين تقطع الخبز ولكنها كذلك تقطع الرقاب وكثيرا ما نسمع أن قوما فى حى المذبح أو غير المذبح اقتتلوا بالسكين فقتلوا وأسالوا الدماء ولكن ما من أجل هذا تمنع صناعة السكاكين .

والسكين يحملها الرجل فتنفع ويحملها الطفل فتجرح . وانى لأحسب أن العلم قد شب ولا تزال الأمم فى طفولتها الأولى .

ان العلم تقدم فى الشعوب تقدما سبق به تقدمها فى الثقافة الحرة الحديثة التى تتفق والعصر الحديث لا تلك الثقافة العتيقة التى تستند الى عواطف وطنية أنانية بالية وعلى أساليب من التفكير عتيقة مهلهلة وإلى عقائد دفينة متعلقة ما أنزل الله بها من كتاب ولا أنزل من سلطان .

ان الحكومات تجند الجنود فى الميدان فى الحرب وهى تجند العلماء وراء الخطوط فى السلم والحرب على السواء. وفى هذه البحوث العلمية الحربية تنفق الملايين على مر السنين وهى ملايين تزيد كثيرا على ما تنفقه على سائر البحوث المدنية مجتمعة . ومن أمثلة هذا ما أنفقته الحكومة الأميركية فى حربها القصيرة الماضية حرب عام ١٩١٤ أنفقت فى انتاج العتاد الحربى وحده ٤٠٠٠ أربعة آلاف مليونا من الجنيهات. وهى نفقة وهو مجهود يكفى لحفر قناة كقناة بنما لا مثلا أو مثلين ولكن أربعين مثلا وهذه تكون للتعمير وتلك المجهود للتخريب والتدمير .

ان العلم تقدم وتأخرت الشعوب فى انحطاط تفكيرها وأساليب اقتصادها وفهمها لعلاقة الشعوب بعضها ببعض وفى تقديرها لاختلاف الجنس واختلاف اللون واختلاف العقيدة واختلاف اللسان .

والمتقدم لا يقال له تأخر ولكن المتأخر يقال له تقدم ومن أجل هذا كانت تلك الدعوات القائمة اليوم فى الأمم الحرة تدعو الى تغيير المجتمع واصلاح المجتمع بالعلم وبآثار العلم وبابلاغ ثمراته المادية الى حيث يكون الفقر والى حيث يكون المرض وبابلاغ ثمراته المعنوية الى حيث تكون العصبية البلهاء والجهل المطبق . وهى تفعل ذلك لتجتنب فى المستقبل مثل محنة الحرب الحاضرة التى عرف الناس أنها حرب شاملة لا مهرب منها لمدنى ولا لجندى ولا مهرب منها لأمة تحارب وأمة توشك وأمة بقيت على حيادها تتألم لا من حرب ولكن من صلات قطعت وتجارة كسدت وبؤس لم ينج منه أفلات من حمم الأرض وغائرات السماء .

سيقول الكافرون الساخرون إن الحرب كالعلم ضرارة نفاعة وان الحرب الماضية دفعت بالعلم الى الأمام مائة عام فهى أوجدت الطيارة وهى أوجدت الجرارة بايجادها الدبابة وهى بعثت السيارة بعثا جديدا وفتحت فى الجراحة فتحا جديدا . وسيقولون إن الحرب الحاضرة ستتكشف عن أشياء خارقة بعضها ظاهر وبعضها باطن تدفع جميعا بالمدنية قرنا آخر كاملا .

لا جدال فى هذا ولكن أى مجتمع غبى هذا الذى لا يكون تقدم العلم فيه الا ربا. وهل ضعفت ثقة الناس بأنفسهم الى هذا الحد وهل ضعف ايمانهم بما فى طبيعة الانسان من حوافز للجد نبيلة حتى قاموا يستعينون عليها بحوافز النسر الجارح والذئب المفترس .

ولست أريد أن أختم هذا الحديث قبل أن أقول كلمة قصيرة فى الفلم واختراعات العم فى خدمة مصر .

لقد دخل العلم مصر ودخلت آثاره ولكن الذى دخل منه أكثره ليس منا والذى دخل من آثاره أكثره لغيرنا . ولن يكبر عليك قولى هـذا فالحق أكبر وان شئت فطف فى مصر يوما أو أياما وأطلب مظاهر المدنية الحديثة وهى مظاهر العلم الحديث ثم تعال من بعد ذلك حدثنى أين وجدتها ولمن وجدتها . ستجد المصرى أصاب من ذلك حظا وأصاب غيره سائر الحظوظ .

وهنا ينبعث الأمل لقد بدأ المصرى يأخذ من العلم و ينهض بالعلم لم يكن فينا منذ بضع عشرة من السنين كياويون فبلغوا الآن ثلاثمائة أو أربعة . ولم يكن لنا فزيائيون فصار لنا نصيب من الفزيائيين ولم يكن لنا بيولوجيون و رجال أحياء فصار لنا عدد لا بأس به من هؤلاء وهؤلاء. ولكنك تنظر الى هؤلاء جميعا فتجدهم فى محابسهم من مكاتب الحكومة ومعاملها. وتجدهم يدورون كل يوم فى أعمال متكررة رتيبة كما يدور الثور فى الساقية . فلا اختراع ولا ابتداع حتى ولا ممارسة جديد فى العلم . و يرفعون أصواتهم فتقف عند آذان الحكومات لأنها آذان صماء وتقف عند آذان الشعب لأنه أكثر صمما .

أما الحكومات فلم تكد تفرغ مصر منذ استقلت من سياسة. لقد صارت السياسة عند من عرفنا من أكثر الحكومات الماضية غاية . وهى غاية نظروا اليها بالعين الحزبيـة كما تنظر أنت الى بعوضة بعدسة فتملؤ عينك فلا ترى من الدنيا شيئا غيرها ومع هذا فقد يكون لنا فى الحكومة الحاضرة أمل غير تلك الآمال .

أما الشعب فشعب قد استيقظ قريبا من نومة قرون تأدرك من الصحو شيئا مذكورا مشكورا ولكن لا يزال له مزاج الصاحى النائم يسئمه الجـد الكثير و يتعبه الفكر العميق . تعرف هذا مما يقرأ وتعرف مما يقرأ من أكثر صحفنا انتشارا وأكثر مجلاتنا ذيوعا . وماذا بها ، بها كم مرة أحببت ، وأى النساء كان لها الأثر الأكبر فى حياتك ، وما أثر القبلة الأولى وماذا تجد فى جيب فلان الباشا وفلان الوزير. وفيها حديث حمارى ، كل هذا فى أدب رفيع هو دغدغة الأمم المنحلة التى لا تريد أن تبلغ حتى من الأدب قسطا ، فكيف بها والعلم .

طلب من أحد الناس مرة مقـالا فى العلم وقال لى حلِّه بالأدب ، العلم يحلى بالأدب ، زيت خروع ، وطلب آخر مقالا فى العلم وقال هذه المرة غرقه بالأدب ، قلت له ليه تغرقه سيبه والرزق على الله .

من أجل هذا جنبت مصر ويلات هذا الحديث .

لقد تكرم مولانا الملك منذ عهد قريب بزيارة بضعة من معاهدنا العلمية انشرح لها صدر العلميين وزارها مولانا تشجيعا ، وسيتكرم جلالته لاشك بزيارة سائر تلك المعاهد ، وسيزورها هذه المرة لا شك تشجيعا وتحقيقا ، وعندئذ ينكشف لرجل الدولة الأول ما قد يكون من اغفال ، ففى هذه الزيارات يكون الخلاص ، وعليها يعلق أنصار العلم الآمال .

دكتور أحمد زكى

كتّاب الجيل

أناتول فرانس

"كاتب الحياة العظيم"

للكاتبة زينب محمد حسين

في صبيحة اليوم السادس عشر من شهر أبريل سنة ١٨٤٤ استيقظ العالم وقد اكتسى حلة جديدة نسجت خيوطها يد دقيقة تبعث في الناس نورا رائعا هو مزيج من الحب والمعرفة والحكمة، أجل ففي ذلك اليوم التاريخي المشهود ولد كاتب الحياة العظيم اناتول فرانس .

وأناتول فرانس فيلسوف ساخر قاس ، ولطالما استخدم قلمه في التنديد بتقاليد المجتمع ومصطلحاته متخذا من النفوس البشرية مادة للتحليل والملاحظة، وهو عند ما يندفع في تحليل نفسيات البشر يتغلغل في أعماقها حتى يحس الواحد أنه إنما يغوص في أعماق النفس يستخرج منها صورا من الميول المنحطة التي تفيض بها النفس البشرية مكتسية بنور باهت ضعيف من سمو النفس ونواحي الخير .

ويحق لنا أن ندعو أناتول فرانس بكاتب الحياة لأنه كان يفهم الحياة حق الفهم ومن ثم فهو يدعو إلى تعديل أوضاعها والثورة على قوانينها السخيفة، لذلك فهو يستمد موضوعاته من الحياة ذاتها وإن كان المدد يأتي على نظرة أعمق للحقيقة .

فنحن اذا قرأنا أناتول فرانس نجد أن الحوادث التي يصورها عادية الوقوع ، وأن الأشخاص الذين يتخذهم أبطالا لمواضيعه، إنما هم في الحياة أشخاص كثيرا ما نصادفهم وربما كنا أنفسنا ضمن هؤلاء الأشخاص بميولنا وعواطفنا ونقائصنا ، فهو إنما يصور الحياة الانسانية في مختلف الصور وبين نفسيات جميع الشعوب ، فلم يتخذ لفكره وطنا معينا ، وإنما تركه حرا ينساب بين نفوس البشر في مواطنهم محللا منهم الشخصية ، متخذا من أوضاعهم الغريبة موضوعا لسخريته المريرة ونقده القاسي العنيف ، وهو في كل هذه التحليلات واللذعات إنما يضفي عليها قبسا من روحه الفنية فيريق عليها ضوءا من مستواه العالي الرفيع ، فهو في معالجته الفن يتمثل بقوله : " إن الفنان لا يكون إلا واحد من اثنين، فهو إما أن يودع روحه فيما ينتجه، وإما أن يخرج دمي ويزخرف الكلمات " لا أخالك تتفق معي أن استقصر في تحليل شخصية أناتول فرانس في آدابه، فهو بالرغم من سهولة عرضه للفكرة عميق التفكير نزاع الى التغلغل في الدراسة إلى حد أنه قد يعالج الفكرة إشارة لمحويته الخاصة وإن كان في الظاهر يبدو أنه مثال البساطة والسهولة ، فهو عبقري أوتي حظا كبيرا من النبوغ حتى لقد قال فيه أحد الكتاب "كأني بعبقرية أناتول فرانس قد ولدت شاكية السلاح مثل " أثينا " إلهة الحكمة عند الاغريق" .

انحدر أناتول من أب يتجر فى الكتب ، فكان نوع تجارة الأب سببا فى شغف الابن بالمطالعة والدرس ، حتى لقد اتجه ميله إلى معالجة العمل الصحفى وقرض الشعر والقصص القصيرة ، فكان يستلفت الأنظار بجمال أسلوبه ومعانيه المشرقة وتعبيراته الرائعة ، حتى لقد شجعه الاعجاب الذى كان يلقاه آنئذ إلى طبع أن كتابا عنوانه Maigre jucast et le chat فلقيت هذه المجموعة إقبالا عظيما مما شجعه على اخراج أولى رواياته الخالدة Le Grime de Sylvestre Banard فلقيت نجاحا كبيرا واحتفى بها المجمع العلمى الفرنسى " الاكاديمى فرانسيز " .

كانت هذه الرواية أولى درجات المجد العظيم الذى سرعان ما ارتقاه كاتب الحياة العظيم أناتول فرانس فانتخب عضوا فى المجمع العلمى الفرنسى بعد أن توج بوسام الليجون دونور . وأحرز جائزة نوبل فى الآداب تبرع بها كاملة سنة ١٩٢٠ لأهل روسيا أيام المجاعة ، فقد كان نصيرا للطبقات الفقيرة عدوا لولاة الأمور الطغاة الذين لا يرعون العدل ولا تبارح نفوسهم القسوة والاضطهاد .

وقد كان أناتول فرانس من أشد المتمسكين بحرية الرأى وتحرر الفكر من ربقة القيود لذلك نراه لم يأسف عند ما رأى أن مجاهرته برأيه فى قضية دريفوس المشهورة ستكون سببا فى فصله من وظيفته ، بل لقد كان قلمه الجرىء أحد الأسباب فى تسيير مجرى القضية فى الطريق الذى سلكته .

ويطيب لنا أن نتناول نتفا من روايته الخالدة "جريمة سلفستر بونار" التى كانت الأساس المتين الذى شاد عليه حياته الفنية ، وهذه القصة تؤيد كثيرا مما ذهبنا اليه فى تحليل شخصية أناتول فرانس فمن يقرؤها يشعر أنه انما يسايرحادثة عادية كثيرا ما يصادفها فى حياته ، ولكن اذا تمعن فيها قليلا فلكى يجد لونا من ألوان العمق الفكرى والسخرية اللاذعة .

والقصة كما يقول بعض كتاب العصر صورة قريبة لحياة أناتول فرانس نفسه فهو هو مستر بونار بأفكاره وشعوره وآرائه ، فمن يراه وهو فى ثوب الساخط على المجتمع عندما تحدثه خادمته تيريز عن كوكوز بائع الكتب المتجول الفقير ساكن الطبقة العليا من المنزل الذى يقطنه هو وزوجه التى على وشك الوضع فيقول " آه من الطبيعة وما أشد قسوتها وما أبرعها فى نصب فخاخها لإتمام تدبيرها . إن هذين الزوجين التعسين لم يقصدا الأنيان بولد الى هذا العالم ، ولكنهما كما دمين انساقا الى الوقوع فى شرك الطبيعة لعدم تبصرهما وهاهى غلطتهما قد أثمرت وآتت أكلها ، وهاهو بؤسهما قد تضاعف ، ليت شعرى ما الذى سيلاقيه ذلك الولد التعس فى هذا العالم .

ثم نراه يلتمس العذر لمزوجا بسخرية من المجتمع للزوجة التى تدفعها الحاجة إلى المتاجرة بجمالها فيرد على خادمته الثرثارة تيريز « صونى عرض جيرانك يصونوا عرضك وعرض سيدك العجوز » .

ثم يصور لك اناتول فرانس فى لمحة عارضة — حتى يوهمك أنه لم يقصدها — ذلك الطفل البائس الذى وقف أمام كوخ ملىء بالحلوى والأشربة المرطبة ، وكان يرتدى اسمالا بالية يبدو من خلالها جسده الناحل ذو العظام البارزة والعروق النافرة ، وهو يتطلع بعينين يبدو فيهما الجوع وشهوة الأكل وانتقى مع شىء غير قليل من السذاجة والفحة . فلم يلبث الكاتب أن ابتاعها على يد سلفستر بونار ليطفىء بذلك نهم الصبى المسكين .

لكن الصبى البائس لم يصدق ما يراه ، أو على الأصح لم يصدق أن ذلك الشيخ الذى يمد له يده بالكعكة يجد فى عمله هذا ، بل هو هازل يبغى التسلية كعادة بعض المترفين وذوى اليسار ، ويتساءل الكاتب عن علة هذه الخواطر التى جالت فى نفس الصبى فيقول : (ألا يكون نضوج عقله المبكر على نار البؤس والحاجة قد علمه ألا يعتقد فى الصدفة الحسنة والقلوب الرحيمة) لقد رأى وقتئذ ذلك الفتى ولسان حاله يقول : أنت قاس ياسيدى ، أتبلغ بك قسوتك أن تسخر منى إلى هذا الحد ؟

ولكنه يعود فى موضع آخر كى يحيى فى نفوس الفقراء فضيلة العرفان بالجميل فيذكر أن جزلة الحطب التى أهداها يوم عيد الميلاد لمدام (كوكوز) التى كانت تقطن غرفة السطح ذات الثقوب المتعددة من منزله ووعاء الحساء الذى جاد به عليها فى احدى الأمسيات الباردة لم يبارحا ذاكرة مدام كوكوز مع الفقر والجوع وانما تذكرت صنيعه الكريم عندما صارت ذات يوم (البرنسيس تربيوف) فردت له — دون أن يعرف من أين — جزلة حطب كبيرة لكنها مجوفة تضم داخلها طاقة كبيرة من البنفسج مع النسخة المخطوطة من (التراجم الذهبية) التى حاول السيد بونار أن يشتريها فعجز عن دفع ثمنها المرتفع .

وفى تسبيح العابد وهمهمة المؤمن يقول لنفسه (هاهى ذى قد ظلت تذكر جزلة الحطب التى أرسلتها اليها يوم مخاضها حتى ردتها إلى جزلة من الهناء والسعادة ، بل جزلة من الحياة معطرة بمزيج من الامانة والوفاء) .

ويصعب علينا أن نصطحب معنا القارئ فى هذه الجولة الممتعة بين دفتى " جريمة سلفستر بونار " فربما تحسنا له — ونحن بذلك جد سعداء — تحسسا يخرجنا عن وقار هذه الصحيفة ، أو ربما توهمنا أننا نرتشف من معين لا ينضب ماؤه ولا تفنى عذوبته مما قد لا يقرنا عليه القراء ، فلننتقل من هذه الصور الفاتنة التى تسرى فى " سلفستر بونار " إلى قصته " طالع بونابرت " التى نشرها فى مجموعته القصصية واسمها Contes de Tournebroche .

ففى هذه القصة يحلل لك أناتول شخصية نابليون بونابرت غير غافل عن تلك الخوالج التى تجول فى صدر الانسان الذى يسعى وراء المجد والشهرة فهو هنا يراقب ويرصد حركات نابليون بعين حذرة وبيد ماهرة لا يفوتها أن تدون مايجول فى النفس ولا يصرح به اللسان ، فهو يعطى للناس درسا فى الحياة إذا تفهموه ضمنوا حياة موفورة ومجدا مضمونا ، ألا تراه يفتتح عن هذا الدرس بقوله على لسان نابليون « ان المستقبل خليق بالازدراء ويجب ألا يحسب حساب

إلا للحاضر فقط ، كما يجب أن يكون الانسان جريئا قادرا ثم يترك الباقى للحظ " ثم يوضح لنا أناتول فرانس أسلوب الانسان فى الحياة فيقول " يجب ألا يتقيد الانسان بفكرة مرسومة وهدف معين ، بل يجب عليه أن يترك للحوادث أن تسيره كيفما شاءت ، فيترك قياده لها على ألا يغفل عن الاستفادة بأقل الفرص التى تهيئها له كما يستفيد من أعظم الحوادث ، وألا يفعل سوى مايمكنه ، ولكن كل ما يمكن " .

ألا ترى معى أن أناتول فرانس يفهم الحياة فهما يستحق معه أن يلقب بكاتب الحياة العظيم ؟ فهو مع استغلاله لكل الظروف التى تتاح له فى الحياة لايغفل مطلقا عن أن يذكرنا بقعة الحظ فى حياة الانسان ؛ فهو كما يتضح لنا من قراءة قصة طالع نابليون يعزى نجاة ذلك الطاغية فى مخاطرته بالسفر من مصر إلى فرنسا إلى الحظ وحده .

وفى روعة الكاتب الذى يحدثك فرانس عن الحكم والحكام فيقول " إن الرجال ذوى الضمائر الحية هم وحدهم الذين يمدون السلطة بالتأييد القوى ، أما ذووا الضمائر الميتة فلا ينشرون سوى اشمئزاز عميق ، فالاستقامة ضرورية للحرية ، ضرورة الفساد للطغيان ، وان النزاهة خلة طبيعية وتخلق مع الرجال الذين يولدون للحكم " .

لقد كان أناتول فرانس عالما بأسره يجمع فى فنه كل العواطف البشرية والميول الانسانية وإن كان بعض الكتاب الذين كل همهم فى الحياة النظر إلى أعمال العظماء بعين ملؤها الحسد والسخيمة يعيبون عليه عدم اسهتاره وابتعاده ماستطاع عن الألم والهموم لايهمه العالم فى قليل أو كثير ذو شخصية ضعيفة ضيقة الخيال .

وإن كان هؤلاء الأدعياء لم يرتفع لهم صوت فى حياة أناتول فرانس بل قد يكون بينهم من كان يدق له فى حياته طبول المديح ويكيل له الحمد ، فذلك لأنهم تنقصهم الشخصية التى يجدون أناتول منها .

فمن الغريب أنهم يرمون أناتول فرانس بأنه لم يتألم يوما ، ولست أدرى ماذا إذن هى آداب أناتول فرانس إن لم تكن قد نضجت فى بوتقة من الألم الصارخ والعذاب الأليم ؟ وكيف لم نر أناتول فرانس وهو يتألم فى " سلفتر بونار " من أجل مدام كوكوز ، وكيف لم يتألم لحين تلك الفتاة البائسة التى تنكر لها وصبها " موش " تلافت من صنوف الاضطهاد والذل والبؤس ما جعل أترابها فى المدرسة ينفصلن من زمالتها ، فيخطفها " سامبر " من تلك المدرسة معرضا نفسه لحكم المادة ٣٥٤ من القانون لى يعرض نفسه للموت طبقا لقانون " أورد يناس دى بلوا " سنة ١٥٧٩ ، ثم يخلص فرانس من كل هذا بقوله " إننى أرضى أن أكون مجرما يستحق العقاب لو اعترف القانون أن نظام الوصاية نظام مجرم لايستحق العقاب وحسب بل يستحق الإعدام أنا لن أمكنهم من عقابى لأنى أحسنت القصد ، ولم أبغ إلا الخير ، ولم أرد إلا الإصلاح أجل ، لاأوافق على العقاب ، لأنى لم أكن مجرما أبدا " .
لقد تألم أناتول فرانس ألما تولد عنه أكثر إنتاجه .

أما السخرية من أوضاع الحياة التي يرمون بها أناتول فرانس فهي سخرية الساخط لا المتشائم فهو إذا كان قد هاجم الأخلاق والقضاء والتشريع والوطنية ، فإنما لأنه قد اخترق حجب النفس البشرية واكتنه أسرارها فظهرت له عارية ، وحقيقة مجردة ، فهو إذن يتميزها بالصراحة ، الصراحة التي إن لم تعنون تشخيص الطبيب لقعى المريض حتما ، فهو هنا كالطبيب الذي يضع أصبع المهارة على مكان الداء

أما اليأس من إصلاح الناس الذين يرمون به "أناتول فرانس" فهو مجرد اختلاق محض ، فلن ننسى مطلقا أنه جعل من مدام كوكوز امرأة عارفة بالجميل تبدو طهارة نفسها وصفاء طويتها بعد أن أصبحت الأميرة تريبوف فردت له إحسانه أضعافا مضاعفة .

من العبث أن نوضح أعمال فرانس التي يأخذها عليه منتقدوه فهي واضحة لكل ذي عينين صافيتين ، ولكننا نبدأ وننتهي الى أن أناتول فرانس هو "كاتب الحياة العظيم" بلا منازع .

زينب محمد حسين

وضعيفة فإذا أصابت فرصة قتلت ، كذلك قدرة الضعفاء !

« أبو تمام »

فى قرية أبى النمرس

للأديب محمد عبد الكريم

كنا فى صباح الأحد حين قصدنا الى دار الجمعية حيث قدمنا الدكتور أحمد حسين الى حضرات الزائرين الذين شرفنا أن نعرف فيهم جناب المستر كريج والمسيو فانسينو مدير البنك العقارى والمستر لويد المستشار بالسفارة البريطانية والمستر جونس مدير شركة الأسمنت والدكتور ليفى مدير الاتحاد المصرى للصناعات والدكتور نجيب يوسف الأستاذ بكلية التجارة والمسيو ديبونو وغيرهم من أعلام الاقتصاد بالبلد .

وانطلق الزائرون فى رتل من السيارات الى ظاهر المدينة حتى اذا جاوزنا مدينة الجيزة عرجنا يمنة مجتازين قنطرة صغيرة أدركنا بعدها غايتنا ، هذه قرية أبى النمرس ببيوتها الريفية الصغيرة ، وهذا طريقها الرئيسى طريق متسع فى غير استقامة تحف به المساكن وقليل من الحوانيت ، ثم المدرسة الالزامية بتسميها للبين والبنات ، ومبانى القرية بسيطة بعضها من الاجر والدبش ، وبعضها من اللبن ، وهى تتوسط زماما من الأراضى الزراعية مساحته ألفا وخمسمائة فدان ثلثها من النخيل ، وتضم (أبى النمرس) عشرة آلاف ساكن يعملون بالقرية وخارجها .

فى القرية :

تركنا سياراتنا فى ظاهر القرية ومضينا إلى حيث يقوم المركز الاجتماعى وقد استلفتت حركتنا أنظار الأهلين فتجمعوا حولنا يتساءلون عن غايتنا فى خوف وتوجس لم يلبثا أن اختفيا أمام تلطف الزائرين ، وقد أبى المستر لويد إلا أن يحيى الأهلين بالعربية ، وتخلفت مدام ليفى لتجالس القرويات .

زرنا المركز الاجتماعى الجديد ولما يكتمل بناؤه بعد ، مبنى صغير قال لنا المرشد إنه معد لإقامة المركز الاجتماعى والمستوصف وبه مكان لتعليم الأمهات والفتيات بعض ما يهمهن من صناعات منزلية والمكان كما شاهدناه صغير لا يتسع لما تتطلبه قرية كبيرة ، ويجاور المستوصف فضاء صغير جعل المرشد منه مشتلا لنباتى التوت والباريثرم Pyrithrum وهو نبات يستخدم فى صناعة المواد القاتلة للحشرات ويقوم المرشد بتوزيعه على الفلاحين لزراعته بأرضهم رغبة فى الانتفاع به لمقاومة الآفات التى تصيب زراعاتهم .

ويجاور المركز مستنقع شاهدنا فيه بعض أسماك الجمبوزية الصغيرة التى تعنى وزارة الصحة بإطلاقها فى المستنقعات لتبيد يرقات البعوض التى هى غذاؤها وأثر هذه الأسماك فى إبادة البعوض كما شاهدنا فى القرية وفى غيرها أثر ضئيل ، وعندنا ألا علاج لأمر البرك غير ردمها كما سنتفصل ذلك فى موضع آخر من هذا المقال

هذا مريع . . .

C'est terrible ! هذا ما قاله جناب مدير البنك العقارى ورددده الكل حين أطلعهم طبيب المركز الاجتماعى على حقيقة حال القرية التى يمكن اعتبارها صورة لما هو موجود بكافة قرى القطر ، بل إن أبا التمرس على سوئها تفضل كثير من القرى بما يفيده موقعها المجاور للعاصمة واشتغال بعض أهليها فى التجارة و إليك بيان ما أسفر عنه الفحص الطبى الشامل الذى قام به طبيب المركز :

مائة فى المائة من الأهلين مصابون بالانكلستوما .

٨٥ » » » بالبلهارسيا .

٣٠ » » » بالزهرى .

٣٠ » » » بالقراع بسبب ميكروب RingWormInfection

هذا عدا البلاجرا والسل والأنيميا والجرب وكلها ناتجة عن قلة التغذية والقذارة المسببين من الفقر والإملاق .

ويقوم طبيب المركز الاجتماعى بعلاج مختلف الأمراض و بالجراحة البسيطة كما يقوم بفحص طبى شامل للأهلين أنهى منه ٨٧ حالة ، وهو رقم نراه ضئيلا اذا قيس بأهمية هذا الفحص وبتعداد القرية الكبير، كذلك يقوم الطبيب بأخذ عينات من دم الحوامل وتحليلها وقد أفلح فى علاج ١٥ فى المائة من حالات الزهرى وتعاون الطبيب زائرة صحية وثلاث قابلات، وتقوم الزائرة بالقاء دروس على الأمهات فى الحياة الصحية ووسائل الوقاية والاسعاف وهى تعلم الأمهات فوق ذلك صناعات الحياكة والتطريز وأشغال الابرة وقد ، شاهدنا معروضاتهن بمقر المستوصف، وترصد أرباح بيع المصنوعات فى صندوق الاحسان ، وقد نفح بعض حضرات الزائرين هذا الصندوق بشىء يشكر من عطائهم .

وتعاون وزارة الصحة برجالها طبيب المركز الاجتماعى فى تحسين الحالة الصحية، وقد شاهدنا فى هذه القرية جانبا من حملتها الفعالة فى إبادة القمل بالانتقال الى داخل البيوت والقيام بحلاقة الرؤوس والاشراف على تطهير الأثاث وقد نجحت حملة إبادة القمل نجاحا كان من أثره خلو القرية تماما من أى إصابة بالتيفوس .

أمية قاسية فاشية :

وفى بلد يناهز تعداده العشرة آلاف ساكن لاتجد فيها غير سبعمائة يعرفون القراءة والكتابة، عجبنا ولكن سرعان ما يبطل العجب حين علمنا أن ليس هناك غير مدرسة أولية واحدة فيها ثلاثمائة غلام ومائتان وسبعون بنتا، أما التعليم الابتدائى فلا أثر له بأبى التمرس، بل إن قانون الالزام ذاته معطل هناك لعدم وجود الفصول الكافية، وليس العيب عيب الأهلين فهم كما

شاهدناهم راغبون فى العلم وقد أنشأوا بتعاونهم قسما ليليا بالمدرسة الأولية انتظم فيه خمسة وستون طالبا تتراوح أعمارهم بين الحادية والعشرين والخامسة والأربعين، وقد لبث هذا القسم يعمل ستة شهور، ولكنه أقفل بسبب عدم اعطاء مكافأة للمدرسين المتطوعين، ولم يكن مايدفعه كل طالب وهو خمسة قروش شهريا ليغطى نفقات الانارة والنظافة بهذا القسم ، وحالة مثل هذه جديرة بالاهتمام ، فالتعليم الليلى هو أنجع الوسائل لمكافحة الأمية ومكافأة يسيرة تعطى للمتطوعين تجعل من كافة المدارس النهارية بالريف معاهد ليلية لتعليم الكبار ولقد شكى إلى الاهلون حرمانهم التعليم رغم حاجتهم اليه فى حياتهم كتجار وزراع .

انتقلنا بعد ذلك إلى ندوة القرية وهى رواق فى بناء مجاور للمستوصف جهز بمقاعد وأرائك وبه مكتبة صغيرة بها قليل من النشرات ومذياع ويجتمع الأهلون بالندوة كل مساء يطالعون الصحف والكتب ويستمعون الى المذياع ويلتقون بالمرشد يناقشونه فى كل ما يهمهم — وقد عنى المرشد بتنظيم فريق اشبال (كشافة) من أبناء المدرسة كما نظمت الزائرة الصحية جماعة من البنات تعليمهن اصول التدبير المنزلى وتكل الى بعضهن مراقبة نظافة بيوت القرية وطرقاتها لمراعاة الأصول الصحية .

صناعات جديرة بالتشجيع :

ولقد كان من أثر كثرة زراعة النخيل الذى يشغل ثلث زمام القرية أن السكان عنى بصناعة منتجاته فهم يحيلون سعف النخيل خيوطا رفيعة تعرف بالكرينه وهى المادة التى تحشى بها المقاعد والأرائك ثم هناك صناعة الليف والتمر وكلتاهما صغيرة محدودة، أما الليف فينسجون منه مشايات ومماسح للأرجل — ويقيم بالمركز الاجتماعى معلمان يقومان بتدريب ستة من أبناء القرية على هذه الصناعة التى هى من البساطة بحيث يمكن للاهلى مزاولتها، ولقد فطن لهذا الأستاذ رضوان راضى مدير معهد العميان بالزيتون حين شاهد هذه الصناعة فى أبى النمرس وعمل على ادخالها فى معهده. وصناعة مشايات الليف ومماسح الأرجل رابحة وهى تدر على الصانع كسبا يوميا لا يقل عن ثلاثين قرشا ونسبة الربح فيها خمسون بالمائة ويعطى المركز للمعلم مكافأة قدرها خمسون قرشا عن كل ولد يقوم باتمام تدريبه وقد أمكن للمركز برأسمال قدره ٣٥ جنيها أن ينشئ ويدير هذا المصنع الصغير — أما صناعة التمر المضغوط (العجوة) فرائجة ويعنى المركز بها عناية تذكر وهم ينظفون التمر ويستخرجون النوى ويعبئونه فى الخوص وكانوا الى وقت قريب يعبئونه فى ورق (السلوفان) قبل ارتفاع ثمنه — والتمر من أغنى الثمار بالعناصر المغذية وهو خير غذاء للضعيف وقد ذكر لنا طبيب المركز الاجتماعى أنه يعالج به البلاجرا وأنه يعطى نتائج باهرة وكانت النتيجة مائة فى المائة بين تلاميذ المدرسة ويمكن أن تروج فى أبى النمرس صناعة الخيوط الكتانية إذا عنى الفلاحون بزراعة الكتان ويقوم أحد الأهلين بصناعة الدوبارة وهو يستهلك فيها كل ما يزرع بالقرية من كتان .

مائة جنيه تنصف قرية بأسرها

نعم مائة جنيه ينفقها بعض سراتنا فى اعداد وليمة للخلان أو فى مهرة بين الاخوان انهضت وأنعشت قرية بأسرها . ففى عام ١٩٢٩ صحت عزيمة بعض الأهلين فى قريتنا هذه على انشاء جماعة تعاونية اكتتبوا لها برأسمال متواضع يبلغ مائة جنيه — أتعلم ماذا فعل هذا المبلغ الصغير حين أحسن استغلاله — لقد تمكن الأهلون فى خلال خمسة عشر عاما من أن ينموا هذا المبلغ وأن يتدرجوا فى الانتفاع به حتى غدت الجمعية التعاونية التى قامت عليه هى الهيئة المنوط بها إمداد القرية بكل ما تحتاجه من مؤن وقد بلغ قيمة ما باعته الجمعية ذات المائة جنيه فى العام الماضى وحده ٨٨٠٠ جنيه وقد دفعت للساهم الذى اكتتب بخمسين قرشا ربحا بلغ فى العام الماضى وحده ٣٧ قرشا منها ٣٤ قرشا من عائد أرباح الشراء أى بنسبة ٧٥ ٪ وهذا مثل رائع لنجاح استغلال المال بالاكتتاب فى الجمعيات التعاونية نسوقه لهؤلاء الذين يودعون اموالهم دون استغلال فى المصارف وفى صندوق التوفير بربح تافه أو بغير ربح — أما خدمات الجماعة التعاونية ذات المائة جنيه فتتخصص فى أنها جنبت فى هذه الأزمة كل البلدة متاعب التموين التى تشترى من وزارة الزراعة بمعرفة المرشد كل ما يحتاجه الفلاحون من بذور وسماد وتحصل لهم كذلك على كل ما يلزم القرية من سكر وزيت وشاى وكبريت وزجاج للمصابيح .

وهى تقرض المنتسبين اليها مبالغ محدودة بدون أرباح وتعاون الجمعية التعاونية صندوق الإحسان الذى قام بجهود المشرف والزائرة الصحية ، وصندوق الإحسان هو الذى يستغل مصنع الليف والثمر المضغوط وهو يعنى بتقديم الكساء كل عام للفقراء وقد كست الجماعة فى العام الماضى ١٢٠ نفسا وهى تشترى الماعز الممتاز وتوزعه على الأسرات الفقيرة وقد وزعت فى العام الماضى ١٤ عنزة بثمن يسدده الفلاح من بيع متاح العنزة وهى تعطى سلفا صغيرة كرأسمال للعدمين وتستردها من أرباح أعمالهم ، وهناك نساء وأولاد أوجد لهم صندوق الإحسان أعمالا برءوس أموال لا تتجاوز العشرين قرشا يشترى بها المعدم (فولا نابتا) أو حلوى يبيعها فيجنى من ربحها ما يكفيه ذل السؤال .

الزراعيون كمرشدين اجتماعيين :

وقفنا فى جولتنا بأبى النمرس وفيما لمسنا من عمل المرشد الاجتماعى فيها على حقيقة نقررها مقسطين غير مفرضين هى أن أصلح من ينهض بالارشاد الاجتماعى بالريف هم خريجى كلية الزراعة وحسبنا أن نذكر بعض آثار مرشد أبى النمرس وهو زراعى متعلم فى النهوض بهذه القرية :

فأعماله تتجه إلى غرضين : الأول تحسين طرق الزراعة والثانى زيادة موارد الفلاح .

أما تحسين طرق الزراعة فسبيله إرشاد الفلاح بواسطة الزراعات النموذجية التى يجريها المرشد فالمزرعة الارشادية للذرة أتت بمحصول ١٣½ إردبا وهى فى أرض الأهالى لا يتجاوز محصولها الثمانية أرادب، ومزرعة القطن أنتجت سبعة قناطير ونصف من قطن جيزة ٣٦ وهى فى المتوسط لا تتجاوز أربعة، هذا إلى مقاومة الآفات بأفضل السبل فعند ما انتشرت دودة القطن قام المركز الاجتماعى بالمقاومة بطريقة تعاونية لم تكلف الفدان أكثر من ٥٥ قرشا ، ولما تفشى مرض البياض فى الفصيلة القرعية أبيد نهائيا بالتعفير بالكبريت ، وقد استورد المركز ٣ أطنان من الكبريت من شركة الصناعات الامبراطورية وقد أودع المرشد فى النادى مجموعة حشرية يقف الأهلون منها على تطور الحشرات وأنواعها ليقاوموها .

وأما زيادة الموارد ، وهـذا من أهم أسباب تحسين حال الفلاح ، فقـد سلك المركز فى هذا سبيلا قويما إذ قام بتوزيع خمسمائة شجرة خشبية ومائتى شجرة توت وأكثر من ثلاثة آلاف فرخ من الدجاج (كتكوت) كما اتفق مع قسم الطب البيطرى على أن يزور الطبيب القرية مرتين كل شهر للعلاج والارشاد كما استحضر المركز من وزارة الزراعة (لخلين) من الجاموس لتحسين انتاجه وهناك مشروع لجمع ديوك الدواجن من الأهلين و إعطائهم ديوكا قيومية بدلا عنها ، كذلك قام المركز باستيراد بذور القطن والقمح والذرة والبرسيم الجيدة من قسم الاكثار بوزارة الزراعة ووزعها على الفلاحين بوساطة الجمعية التعاونية ، كما قام بتعميم زراعة الخضر بالبلد فبعد أن كانت مساحة أرض الخضر مائة فدان أصبحت اليوم سبعمائة وأدخل فى القرية زراعات جديدة كالبسلة والكرات والخرشوف، وقد ساعد على ذلك سهولة تصريف الخضر لقرب البلد من العاصمة .

ماينبغى أن يقرن بالإرشاد :

فى دراستنا لتجربتى المنايل وأبى النمرس جاونا أمر المركز الاجتماعى بنوعيه حكومى وغير حكومى .

ولعل أظهر ما لمسناه من نقص أن التجربتين لم تعرضا لمسألة هى بحق أولى المسائل فى اصلاح القرية وهى مسكن الفلاح ومرافق حياته من ماء نقى ودورات صحية للفضلات وليس يجدى أن نحض الفلاح بالارشاد لالتماس أسباب الصحة وهو مقيم فى تلك المقابر التى لا شبه لها بالمسكن ولا تمت إلى الصحة بصلة — ولقد شغلت مشكلة الصحة القروية الكثيرين ويؤسفنا أن نقرر أن كل المشروعات التى قدمت متعذرة إن لم تكن مستحيلة التنفيذ وحسبنا أن نشير الى البارز من هذه المشروعات فلدينا مشروع المرحوم عبد الواحد بك الوكيل الذى قدر لتنفيذه ما يقرب من مائتى مليون جنيه تنفق فى خمسين سنة وسبيله ازالة القرى رأسا على عقب لتخلفها قرى صحية .

وهناك مشروع وزارة الصحة فى سبتمبر عام ١٩٣٤ وهو تتمة للبرنامج الصحى الذى رسمه المرحوم شاهين باشا عام ١٩٢٧ وقد قدر له ٣٢ مليونا من الجنيهات .

ثم مشروعى الدكتور ابولس بولس ووليم حنا اللذين يكفلانا ٣٠ مليون جنيه فى ٣٠ سنة فاذا راعينا أن تكاليف هذه المشروعات فضلا عن نداءاتها قدرت على أساس مستوى سعر ما قبل الحرب وهو سعر لا ينتظر أن يعود بحال ، ازاء ما أوجدته الحرب فى مختلف الشعوب من تشريعات مالية وضرائب اضافية منها تعويض ما بذل ورفع مستوى الأجير رأينا أننا حيال تقديرات ستظل اخلالا ما لم نفكر فى سبيل آخر — وعندنا أن السبيل العملى للنهوض بالقرية هو أن تعد المراكز الاجتماعية بعد تعميمها تعد هذه المراكز متحدة مع أقسام الهندسة القروية خرائط جديدة لكل قرية يراعى فيها تعديل تخطيطها مع زيادة مساحة جديدة تضاف من أملاك الدولة أو تشترى بالمال وتكون هذه المساحة كافية لتعويض ما يقتضيه التخطيط الجديد للقرية — على أن يبدأ بشق الطريق الرئيسى ثم ما يقطعه بعده من طرق شيئا فشيئا فاذا أراد فلاح بناء بيت جديد أو إعادة بناء ما يتهدم الزم بمراعاة خط التنظيم المعتمد وأن يخصص كل عام اعتماد كبير للاصلاح القروى تخصص فيه لكل قرية مبالغ محدودة تعطى للمجلس الذى يناط به الاشراف عليها على غرار مجالس المقاطعات الانجليزية Commitees Rural Community التى وكل اليها أمر قرى بريطانيا ونالت من معونة الحكومة هناك ما جعل القرية جنة يتمنى الكل العيش فيها لما يجدونه بها من جمال وصحة وهدوء — إن لنا فيما فعله الانجليز ببلادهم اسوة تكفينا مشقة كل تجربة فالحال التى تشكو منها قاساها الانجليز قبلنا فحلوا مشكلة المسكن الصحى بقانون المساكن الزراعية Rural housing Act الذى صدر عام ١٩٢٦ وتقررت بموجبه اعانات مالية لمجالس المقاطعات الزراعية معونة لتشييد المساكن الصالحة التى تقام طبقا للمواصفات الصحية وعالجوا مسألة ازدحام المسكن الريفى بقانون Overcrowding Act

إن ما تخلفه الحروب بعد انتهائها من كساد زراعى يحتم علينا إعداد مشروعات كبيرة لإصلاح القرية وتحبيب الحياة فيها ولقد أوضح الأستاذ على فهمى فى كتابه "الحياة الريفية فى بلاد الانجليز بعض ما قاساه الزارع الانكليزى بعد الحرب الماضية من ضنك لم يخففه سوى التشريعات التى عملت الحكومة هناك على تنفيذها و إذا كانت الأزمة الزراعية قد هبطت بالفلاح الانجليزى إلى حد مؤلم فقد جربنا هذا فى بلادنا وشهدنا كيف كان أثر هذه الأزمة على فلاحينا .

يقول الدكتور ابراهيم بك رشاد فى كتابه "كيف نحبب القرية المصرية إلى الفلاح والمالك" إن العناية بالقرية لا يفيد فى تحسين حال الفلاح الصحى والاجتماعى فحسب

بل ويحل مشكلة أخرى هى مشكلة النزوح من الريف Rural Expdes وهى المشكلة التى عرفت البلاد الغربية كيف تحلها بتجميل القرى حتى أن الأثرياء أنفسهم لم يغيروا إقامتهم بها فكان لهم دواما بالقرية مقر Country Seat علاوة على مقرهم الذى تستلزمه اعمالهم بالمدينة . Town Resietence

الإرشاد الاجتماعى فى ضوء التجارب :

ليس فى مقدورنا أن نقرر أن الإرشاد الاجتماعى قد أتى بثمره كاملا فى الريف وليس فى هذا ما يؤخذ على القائمين به فالمرشدون كما رأيناهم مجدون عاملون ، ولكن هناك أسبابا عامة نرى من واجبنا توجيه نظر من بأيديهم الأمر إليها :

الأول : قلة موارد الأهلين الذين يعجزهم فقرهم عن تلمس أسباب النظافة والصحة فى مساكنهم ومعيشتهم ولا سبيل الى ذلك إلا بإلزام المالك الكبير بالمساهمة فى إنهاض قريته وذلك بتشريع يفرض ضريبة تصاعدية على القادرين من الملاك ويخصص إيراد هذه الضريبة لصندوق الإصلاح والإحسان بالقرية .

الثانى : التعليم وسبيله إنشاء المدارس الريفية الزراعية والصناعية والأقسام الليلية .

الثالث : سوء مسكن الفلاح وقد بينا علاجه فيما أسلفنا .

الرابع : شق الطرق الزراعية وردم البرك وهو يقتضى تعاون الفلاح والحكومة كما ينبغى أن نشير إلى مالاحظناه من تقصير فى تنفيذ قانون ردم البرك الذى ينص بحرمان كل مالك لمستنقع أرضه ما لم يقم بردمها ، وعندنا أن يسارع بحصر المستنقعات التى لم تردم وأن يسخر المسجونون بإشراف جنود الجيش ومعونتهم لإتمام الردم وبهذا نجنب البلاد شرور البعوض وأوبئته التى تهدد كيانا وتجنى الدولة تعويضا لما تبذل أرضا تضاف لأملاكها حسب ماقضى به القانون — وأخيرا نرى أن تعمم المراكز الاجتماعية التى نقوم على خريجى كلية الزراعة إذ ليس لدينا حتى الساعة غير أحد عشر مركزا فى قطرنا به ٤٠٠٠ قرية .

ونحن لانشك فى أن ولاة الأمور سوف يعنون بإقامة هذه المراكز مستفيدين بما بذل من الخيرين ، وليس لنا مانقول فى بطء العمل الإصلاحى إلا أن نردد كلمة سمعناها من الأستاذ ديبونو أحد أعضاء الجمعية خلال هذه الزيارة من أننا لو سرنا فى إنشاء المراكز الاجتماعية بنسبة ١١ مركزا فى كل أربع سنوات لاحتجنا الى مائة وثلاثين سنة لنعمم عملا يجب أن يعمم حالا باعتباره من لزم ضروريات الفلاح .

محمد عبد الكريم

أمم كبيرة . . .

وأمم صغيرة . . .

كتب الأديب الفرنسى المشهور الدكتور جورج ديهامبل مقالا بهذا العنوان قال فيه: "هناك أمم كبيرة وأمم صغيرة، ولكن بماذا يقاس كبر الأمة؟ أبعدد أفرادها وكثرة تعدادها؟ أم بضخامة الأسطول التجارى وسعة النفوذ فى البحار ؟ أم بمقدار ما تستخرج من الفحم الحجرى و زيت البترول والمانجنيز ؟ أم بانتاج القطن وأرقام الصادرات من اللحم المقدد والأطعمة المجففة ؟

انى أعرف تماما أن هذه كلها أمور لها أهميتها فى تكوين الأمم و فى تطور الأحداث البشرية ، وليس من شك فى أن الاتجاهات السياسية العالمية تتأثر بذلك الى حد بعيد ، ولكنى أعرف بحق . ونعرف جميعا أن الأمة الكبيرة هى الأمة التى تجود تربتها الخصبة بانتاج كبار الرجال ، فالقيمة العددية للأمم لا قيمة لها فى الواقع ، وكثيرا ما قادت العالم أمم صغيرة لأنها كانت عندها ما تقوله وما تعطيه للعالم . . ! !"

والواقع أن الكاتب يقرر حقيقة تقوم على اعتبارات تاريخية صادقة ، فمهما كان من الشأن للقيم الاقتصادية والمادية فى توجيه سياسة الأمم وامتداد نفوذها ، فان الشأن كل الشأن فيما تملك الأمم من القيم الاجتماعية والفكرية ، ولن تستطيع أمة أن تجد مكانها بين الأمم ، وأن تبسط نفوذها على شعوب الأرض إلا اذا كان عندها ما تعطيه من مواهب الذهن فى خدمة الانسانية ، ولقد استطاعت " يونان " أن تملى كلمتها على العالم وأن تظل قبلة الأفكار على مدى القرون بما كانت تملك من المواهب والقيم الفكرية والخلقية .

وهذه الحقيقة تفسر لنا وجه العناية الكبيرة التى تبذلها الأمم العظيمة فى هذه الأيام لدعم كيانها الاجتماعى والفكرى والأدبى ، الى جانب ما تبذل من العناية لتنمية مواردها الاقتصادية والمادية ، وهذه الحقيقة هى التى يجب أن نضعها نصب أعيننا فيما ننشد من مكانة بين الأمم ، وقيمة بين الشعوب .

آراء وأفكار . .

"صاحب العبقرية . . ."

" ... إن الفنان الذى يرزق العبقرية العالية لا يسف بها إلى المباراة فى سوق التصنع والغرور ، وإذا كانت الجماهير تغوى المستضعفين من رجال الفنون باسفاف ذوقها وكثرة تقلبها فليس دواء ذلك أن نقول للجماهير قفى ولا تتعلمى ولا تطلبى الفنون والآداب ، أو أن نضرب عليها الحجر بالشدة والقسوة وإنما الدواء أن تتعلم الجماهير ، وتتعلم وتتعلم ، حتى تسمو إلى مقربة من الذوق السليم ، وأن يتهذب شره المال الذى نخشى غوايته على العبقريين فى سوق المنافسة والزحام ، وأن يوكل التهذيب والتنقيح إلى اختيار الزمن الذى يضع كل شىء فى نصابه حسب ما يحتويه من جراثيم البقاء ، وما دام لنا فى الانسانية أمل فهذا المطلب ميسور مطمأن إليه موثوق بفلاحه ... "

"عباس محمود العقاد"

"صاحب المال . . ."

" ... إذا لم يكن الغنى إنسانا من الناس ، يواسيهم ويسعدهم ، ويتخذ من المال سبيلا الى أفئدتهم بالإحسان والمساعفة ، ويأخذ لنفسه بقدر مالها ويعطى من نفسه بقدر ما عليها ، وإذا لم يكن وجهه عند قدمى الفقير وعند رأس المريض ، ولم يكن ذهبه عند دموع البائسين وعند أنفاس المحزونين ولم يكن اسمه فى دعوات المحتاجين وفى ألسنة الشاكرين فقد أصبح عندى كأنه لا شخص له . . لا فرق بينه وبين صندوق من صناديق الحديد يسميه صاحبه امتهزاء فلان باشا ... " .

"مصطفى صادق الرافعى"

"صاحب الجريمة"

" لقد رأيت رجالا ونساء قد بلغوا من البر والتقى والإيثار مرتبة القديسين ، ولكنى لا أعلم مخلوقا أحق بعناية الله وبره ومرحمته من طفل أعرج ضئيل مهزول أبصرته فى أحد السجون وقيل لى عنه إنه من أشنع وأبشع لصوص لندن وكأنى ببعض من كانوا واقفين إذ ذاك ينظرون إلى هذا القذى الذى هو بعض إفراز الهيئة الاجتماعية المعتلة فكانوا يحسبون أنهم قد اكتسبوا عظيم الأجر بمقتهم الشديد لذلك الشقى .

وأنا لا أعارض فى إبادة المجرم وانحاد انفاسه ، ولكن لشعورى وجهان : فوجه منه للحب والبغض ، ووجه للنظر والحكم ، ولو أنى تركت ونفسى لشفقت المجرم ثم شفعت ذلك بتلاوة اعتذار واف عن جرمه وإقامة أثر على تفقتى فوق قبره يكون تذكارا لا لمحاسده ، بل لمصيبته وسوء حظه " .

"الكاتب الأمريكى أمرسون"

قبس من الحكمة

" قال حكيم : إنبساطك عورة من عوراتك فلا تبذله إلا لمأمون عليه حقيق به ، وقال اذا حاولت أمرا فلا تجمح فيه ولا تطلبه بأكثر من جهدك وكن فيه كالملاح فى قطع عرض البحر يسترق الجرية والرياح ويستعمل الاخلاص فيما عجز عنه لأنه ربما كان الاغراق فى الأمر سببا لفوته والاخطار بصاحبه فيه ، وقال : لا يغرك ما شاع عن رجل الى الايثار له أو الانحراف عنه ، واخلط مع الاشاعة عنه الاختبار له ، وقيل له : كيف ينبغى للرجل أن يصنع لئلا يحتاج ؟ قال : إن كان غنيا فليقتصد ، وإن كان فقيرا فليدمن العمل ، وقال : اذا اتسعت حالك فلا تعاشرن ذوى اليسار دون غيرهم وترى أنهم أخف عشرة لك ومؤونة عليك من سائر طبقات الناس فان مودتهم فاسدة ، ورياستهم كاذبة ، وبهم يشتد حرصك ، ويقسو على أهل المسكنة قلبك ، ولكن كاثر فى سعة الحال أهل النباهة فى الرأى لتجتمع لك الخيرة فى المعرفة وذات اليد ، ولئلا يغيب عنك بهم علم ما يتوقع من محبوب أو مكروه " .

تنبيه من ادارة المجلة

تقرر إلغاء العدد الثانى عشر لشهر ديسمبر سنة ١٩٤٤، والعدد الأول، والعدد الثانى (يناير وفبراير سنة ١٩٤٥) . وذلك تعويضا عن الأعداد الثلاثة التى أبدلتها المجلة بالعددين الخاصين بترجمة مشروع السير بيفردج فى موضوع الضمان الاجتماعى سنة ١٩٤٣ ولم ينتظم بعدها تسلسل صدور المجلة على هذا الأساس .

ولذلك أصدرنا هذا العدد عن شهر مارس سنة ١٩٤٥ ، وسيتصل صدور المجلة فى أول كل شهر بحيث تعتدل إلى قرائها بانتظام .

الطبعة الأميرية ١٢٤٧٨ — ١٩٤٤ — ٣٥٠٠